بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الرباط الوطني

كليــة الدراسات العليا والبحث العلمي

آية الكرسي فضلها وتفسيرها

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير

في الدراسات الاسلامية

إعداد الطالبة :

سحر سراج الدين محمد

إشراف الدكتور:

السر محمد الأمين

٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستهلال

عن أبيّ بن كعب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا المنذر أتدري أي آيه من كتاب الله معك أعظم ؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر أتدري أي آيه من كتاب الله معك أعظم ؟ قال: قلت (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) فضرب في صدرى وقال: (ليهنك العلم يا أبا المنذر) (رواه مسلم).

الشكر والعرفان

أولاً أتوجه بالشكر والتقدير والإمتنان إلى الله سبحانه وتعالى الذي منحنى العزيمة والقوة لإعداد وإكمال هذا العمل المتواضع.

ثم الشكر لجامعة الرباط الوطني متمثلة في عمادة الدراسات العليا، إذ سمحت لي بدراسة الماجستير، وكلية عبد السلام الخبير للدراسات الإسلامية والقرآنية، وإلى أساتذتى الأجلاء الذين لم يبخلوا على بما لديهم من علم ومعرفة ، وأخص بالشكر الدكتور/ **السر محمد الأمين** المشرف على هذه الرسالة ، كما أشكر كل من قدم لى مساعدة بنصح أو إرشاد أو توجيه.

فجزى الله الجميع خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناقم.

مقدمة:

إن الحمــــد لله نحمــــده ونســــتعينه، ونســــتغفره، ونعــــوذ بــــالله مــــن شــــرور أنفسنا، ومــن سـيئات أعمالنــا، مــن يهــده الله فلامضــل لــه، ومــن يضــلل فــلا هــادى لــه، وأشــهد أن لا إلــه إلا الله وحــده لاشــريك لــه وأشــهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فــإن القــرآن الكــريم كتــاب الله والــذى أنــزل علــى رســوله الكــريم عليــه أفضل الصــلاة وأزكــى التسـليم هــدى ورحمــة ونــوراً، وعصــمة، وفضــلاً منــــه، ونعمــــة، فــــلا ســــبيل لصــــلاح هــــذه الأمــــة واســــتقامتها، وعزتهاوكرامتهــــا، وقوتهــــا، ووحــــدتها، وانتفاضــــتها، ونهضــــتها، وسيادتها إلا بالتمسك بهذا الكتاب المبين

***** أسباب إختيار الموضــــــــــوع *****

١- حبى للتعرف على فضل وتفسير هذه الآية الجليلة .
٢- ماوجدتــه مــن إهتمــام النــاس بهــا مــن حيــث حفظهــا وقراءتهــا صباحاً ومساءاً ومعالجتهم بها للمرضى بالرقية .

***** الدراســــات الســــابقة *****

توجــد عديــد مــن الدراســــات الســابقة حــول هــذا الموضــــوع ولكن هذا ماتيسر الإطلاع عليه وهى:-

١- فى رحاب آية الكرسي المقصد السني فى تفسير الآية .

تأليف :

أحمد بن محمد الشـــــــرقاوي

أســــــتاذ التفسير المشارك بجامعة الأزهر

٢- المنهل القدسي فى فضائل آية الكرسي

تأليف :

أحمد بن محمد الشرقاوي

أستاذ التفسير المشارك بجامعة الأزهر .

***** الفرق بين البحث والدراســــــات السابقة *****

تناولـــت الموضـــوعين ((فضـــل آيـــة الكرســـي وتفسيـــــــــرها)) فـــى بحث واحـــد بينمـــا تناولـــت الدراســـات الســـابقة كـــل موضـــــــوع مســـتقل عن ذاتـــه، كمـــا تنـــاول ماوجدتـــه مـــن دراســـات ســـابقة الإســـرائيليات التـــى وردت فـــى آيـــة الكرســـى بينمـــا لـــم يتنـــاول بحثـــي هـــذا الجانـــب مـــن الموضوع، كمـــا تطرقـــت لدراســـة الآيـــة دراســـة بلاغيـــة بينمـــا لـــم تتنـــاول الدراسات السابقة هذا الجانب من الموضوع .

***** أهمية الموضـــــــوع *****

ترجع أهمية الكتابة فـــى هـــذه الآيـــة الكريمـــة إلـــى فضـــائلها، ومـــا اشـــتملت عليـــه مـــن أســـرار عظيمـــة، ومعـــان بليغـــة وعقائـــد شـــاملة، وهـــى كـــذلك تمثل القاعدة الأساسية للـــدين لمـــا فيهـــا مـــن توحيـــد خـــالص ودلالتهـــا علـــى الألوهية المطلقة، ولقـــد جمعـــت مـــن أصـــــــول الـــدين مـــالم يجتمـــع فـــى

آيــة أخــرى، وهــى لقارئهــا حــرز منيــع وحصــن حصــين فضــلاً عــن الثواب الجزيل الذى يحظى به .

ومن هنا فالمسـلم فـى حاجـة ماسـة إلـى فهـم مبانيهـا ومعانيهـا ومعرفـة مقاصـدها ومراميهـا، والوقـوف علـى فضـائلها وفوائـدها والتمـاس ثمراتها وفوائدها وترسم خطاها وتنسم عطرها وشذاها .

***** مشـكلة البحـث *****

تتمثل المشكلة فى غفلـة النـاس عـن معرفـة مايحملـه القـرآن مـن فضـائل والتى مـن بينهـا هـذه الآيـة بسـبب تقلبـات الـدنيا ومشـكلاتها وقضـاياها وغفلـتهم كـذلك عـن الاطـلاع عمـا كتـب فـى هـذا الموضـوع وإنشـغال الألسن والقلوب بـاللهو الأمـر الـذى سـيجعل الإقبـال علـى قـراءة ماكتـب فى هذا البحث والاستفادة منه ضعيفاً .

***** أهداف البحث *****

١- لفت الإنتباه إلى عظم هذه الآية الجليلة .
٢- الإستفادة من معانى وتفسير وظلال آية الكرسي .
٣- الإسـتفادة مـن كـل كلمـة مـن كلمـات آيـة الكرسـي وعجائبهـا وأسرارها .
٤- الإسـتفادة مـن فضـائل الآيـة وضـرورة التمسـك بهـا والمحافظـة عليها .

٥- أن يتعرف الناس على ضرورة تعلم هذه الآية وتعليمها للأهل والأبناء لتكون ديدنهم في الليل والنهار فيحفظهم الله بها في الدنيا والآخرة .

***** منهج البحث*****

سوف نتناول في هذا البحث بإذن الله المنهج الإستقرائى التحليلى والذى يقوم على الإستقراء والتتبع والمنهج الإستدلالى الذى يعنى بالتدليل على ماتم تقديمه من أقوال .

وسأقوم من خلال المنهج المتبع بالخطوات التالية :-

١- عزو الآيات إلى سورها .

٢- تخريج الأحاديث من كتب السنة .

٣- الإحالة إلى المصادر وتكون بذكر ((العنوان – المؤلف – الطبعة – رقم الطبعة – مكان الطبعة – سنة الطبعة – دار النشر – الجزء والصفحة)) .

٤- ترجمة الأعلام غير المشهورين .

٥- بالإضافة إلى فهارس فى الآتى :-

١) فهرس الآيات القرآنية .

٢) فهرس الأحاديث النبوية .

٣) فهرس الأعلام .

٤) فهرس المصادر والمراجع .

٥) فهرس الموضوعات .

خطة البحث :

الفصل الأول : التعريف بآية الكرسى وفضلها .

المبحث الأول : التعريف بآية الكرسي .

المبحث الثانى : علاقة الآية بما قبلها وبعدها من الآيات .

المبحث الثالث : الدراسة البلاغية للآية .

المبحث الرابع : فضل آية الكرسي

الفصل الثانى : التفسير التحليلى للآية

المبحث الأول : التوحيد .

المبحث الثانى : كمال حياة الله سبحانه وتعالى وكمال قيوميته .

المبحث الثالث : الله سبحانه وتعالى لايعتريه نقص ولا غفلة .

المبحث الرابع : ملك الله سبحانه وتعالى المطلق .

المبحث الخامس : الشفـــــــــــــاعة .

المبحث السادس : علم الله سبحانه وتعالى .

المبحث السابع : إثبات قوة الله تعالى .

المبحث الثامن : الكرسى واختلاف العلماء فيه .

المبحث التاسع : كمال قدرته سبحانه وتعالى .

المبحث العاشر : علوّ الله سبحانه وتعالى وعظمته .

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات والفهارس .

الفصل الأول: التعريف بآية الكرسي وفضلها

المبحث الأول: التعريف بآية الكرسي

المبحث الثانى: علاقة الآية بما قبلها وبعدها من الآيات

المبحث الثالث: الدراسة البلاغية للآية

المبحث الرابع: فضل آية الكرسي

المبحث الأول: التعريف بآية الكرسي

قال تعالى: **{اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}**[١] .

(هذه الآية التى نحن بصددها تسمى آية الكرسي وسميت بذلك لظهور لفظ الكرسي فيها ولأن الكرسي هو أساس الحكم وهو رمز العدل . وهى الدالة على الألوهية المطلقة . رفعها الله فى بدايتها باسمه (الله) وفى نهايتها باسمه (العلى العظيم) وهى ترفع معها كل من تعلق بها واستمسك بها .ومن حفظها حفظته ورفعته معها إلى أعلى مقام وأسمى منزلة . وقد عظمت هذه الآية فى كتاب الله وذلك لاشتمالها على توحيد الله وتعظيمه ، وتمجيده ، وصفاته العظمى ، بما لم يجتمع فى آية أخرى . ولا مذكور أعظم من رب العزة . فما كان ذكراً له ، كان أفضل من سائر الأذكار . ومن ثم نعلم أن أشرف العلوم علم التوحيد . وهذه الآية مشتملة على عشر جمل مستقلة فيها خمس معان رئيسية . وإنما ترتبت الجمل فى آية الكرسى بلا حرف عطف ، لأنها وردت على سبيل البيان .

---

١) سورة البقرة : آية [٢٥٥] .

القسم الأول منها : بيان لتوحيده وقيامه بتدبير خلقه وكونه مهيمناً عليه ، غير ساهٍ عنه .

القسم الثانى : بيان لكونه مالكاً لما يدّبره .

القسم الثالث : بيان لكبرياء شأنه .

القسم الرابع : بيان لإحاطته بأحوال خلقه .

القسم الخامس : بيان لسعة علمه ، وتعلقه بالمعلومات كلها وتعريف على جلاله وعظم قدره)[٢] .

(وإذا تأملت جملة هذه المعاني ثم تلوت جميع آيات القرآن لم تجد جملة هذه المعاني من التوحيد والتقديس وشرح الصفات العلى مجموعة فى آية واحدة منها ، فلذلك قال النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها « سيدة آى القرآن » [٣] فإن (شهد الله) ليس فيها إلّا التوحيد والتقديس و (قل اللهم مالك الملك) ليس فيها إلّا الأفعال وكمال القدرة و (الفاتحة) فيها رموز إلى هذه الصفات من غير شرح وهى مشروحة فى آية الكرسي ، والذى يقرب منها فى جميع المعاني آخر الحشر وأول الحديد إذ اشتملت على أسماء وصفات كثيرة ولكنها آيات وليست آية واحدة ، وهذه آية واحدة إذا قابلتها

---

[٢]) الأساس فى التفسير ، سعيد حوّى ، ط (دار السلام للطباعة والنشر – القاهرة) ، تاريخ (بدون) ، ٣٠/١ .

[٣]) أخرجه الترمذي فى السنن ، كتاب: فضائل القرآن ، باب: ما جاء فى فضل سورة البقرة وآية الكرسي ، حديث ٢٨٧٨ ، ١٤٥/٥ .

بإحدى تلك الآيــات وجــدتها أجمــع المقاصــد فلــذلك تســتحق الســيادة علــى الآى . وقولــه صَــلّى اللّــه عَلَيْــهِ وَسَــلّمَ « هــى ســيدة الآيــات » كيــف لا وفيهــا الحــيّ القيــوم وهــو الإســم الأعظــم وتحتــه ســرّ ويشــهد لــه ورود الخبــر بــأن الإســم الأعظــم فــى آيــة الكرســي وأول آل عمــران ، وقولــه تعالى: { **وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ** })[٤] .

(كما اشتملت هذه الآيــة الكريمــة صــفات الله تعــالى وكــل صــفة مــن هــذه الصفات الموجــودة فــى هــذه الآيــة تتضــمن قاعــدة مــن قواعــد التصــور الإسلامي الكليــة ، مــع أن القــرآن المكــي فــى عمومــه كــان يــدور علــى بناء هذا التصــور ، فإننــا نلتقــى فــى القــرآن المــدني كــذلك فــى مناســبات شــتى بهــذا الموضــوع الأصــيل الهــام الــذى يقــوم علــى أساســه المــنهج الإســلامي كلــه ، ولا يســتقيم هــذا المــنهج فــى الحــس إلا أن يســتقيم ذلــك الأساس ويتضــح ، ويتحــول إلــى حقــائق مســلمة فــى الــنفس تــرتكن إلــى الموضوع واليقين .

فلابد من وضوح صفة الله – سبحانه – فى الضمير الإنساني بما أن الركام الذى كان يرين هذا الضمير من تصورات الجاهلية كان معظمه ناشئاً من غموض هذه الحقيقة ، ومن غلبة الخرافة والأسطورة عليها ، ومن الغبش التى يغشيها حتى فى فلسفة أكبر الفلاسفة .. حتى جاء الإسلام فجلاها هذا الجلاء ، وأنقذ الضمير البشري من ذلك الركام الثقيل ومن ذلك الضلال والخبط فى الظلماء وكل صفة من هذه الصفات التى

---

[٤]) جواهر القرآن ، أبو حامــد الغزالــي ، تحقيــق: لجنــة إحيــاء التــراث العربــي ، ط (دار الشروق – القاهرة) ، تاريخ (بدون) ، ص٤٧ .

تضمنتها هذه الآية تمثل قاعدة يقوم عليها التصور الإسلامي الناصع ، كما يقوم عليها المنهج الإسلامي الواضح)[٥] .

(كما اشتملت هذه الآية الجليلة على عدد من أسماء الله الحسنى فقد جلس علماء فقال واحد منهم : انظروا إلى أسماء الله الموجودة فى آية الكرسي وبالفعل قام أحد العلماء بحصر أسماء الله الحسنى فيها ، فوجد أن فيها ستة عشر اسماً من أسماء الله ، وبعضهم قال : إن فيها واحداً وعشرين اسماً من أسماء الله ، كل ذلك من أجل أن يستنبطوا منها أشياء ، ويعلموا فضل وفضائل هذه الآية الكريمة والذين قالوا إن بها ستة عشر إسماً من أسماء الله قالوا : إن بها إسم علم واجب الوجود "الله" وإسم "هو" فى لا إله إلا هو : هو الإسم الثانى .

و "الحى" هو الإسم الثالث .

و "القيوم" هو الإسم الرابع .

وعندما ندقق فى قول الحق { لا تأخذه سنة ولا نوم } نجد أن الضمير فى "لا تأخذه" عائداً إلى ذاته – جل شأنه – و "له ما فى السماوات وما فى الأرض" فيها ضمير عائد إلى ذاته سبحانه وكذلك الضمائر فى قوله "عنده" و "بإذنه" و "يعلم" و "من علمه" و "بماشاء" و "كرسيه" كلها تعود إلى ذاته جل شأنه .

و "لا يؤوده حفظهما" فيها ضمير عائد إلى ذاته كذلك .

و "هو" فى قوله سبحانه "وهو العلى العظيم" إسم من أسمائه تعالى و "العلىّ" إسم من أسمائه جل وعلا . و "العظيم" كذلك إسم من أسمائه

---

[٥] فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط (دار الشروق – القاهرة) ، تاريخ الطبعة (عشرة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ، ٤١٧/٣ .

سبحانه تعالى . ولكن عالماً آخر قال : إنها سبعة عشر إسماً من أسماء الله ؛ لأنك لم تحسب الضمير فى المصدر فى "هما" يعودان إلى السماوات والأرض و "الحفظ" مصدر . فمن الذي يحفظ السماوات والأرض ؟ إنه الله سبحانه وتعالى ، وهكذا أصبحوا سبعة عشر إسماً من أسماء الله الحسنى فى آية الكرسي. وعالم ثالث قال: لا، أنتم تجاهلتم أسماء أخرى؛ لأن فى الآية الكريمة أسماء واضحة للحق جل وعلا، وهنالك أسماء مشتقة، مثال ذلك: الله لا إله إلا هو، الحى هو، القيوم هو، العلىّ هو، العظيم هو، صارت أسماء الله الحسنى الموجودة فى هذه الآية الكريمة واحداً وعشرين إسماً. إذن هى آية قد جمعت قدراً كبيراً من أسماء الله، ومن ذلك جاءت عظمتها.

وهذه الآية الكريمة قد بيّنت ووضحت قواعد التصور الإيماني، وأنشأت عقيدة متكاملة يعتز المؤمن أن تكون هذه العقيدة عقيدته. والآية فى ذاتها تتضمن حيثيات الإيمان، إنه مادام هو الله لا إله إلا هو، ومادام هو الحى القيوم على أمر السماء والأرض، وكل شئ بيده، وهو العلىّ العظيم، فكل هذه مبررات لأن نؤمن به سبحانه وتعالى، وأن نعتز بأن نعتقد هذه المعتقدات، وتكون هى الدليل على أن المؤمن فخور بهذا الدين الذى كان أمر الألوهية المطلقة واضحاً وبيّناً فيه)[٦] .

---

[٦]) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ط(أخبار اليوم قطاع الثقافة – القاهرة)، تاريخ(بدون)، ١١٢٣/٢ .

المبحث الثانى: علاقة الآية بماقبلها ومابعدها من الآيات:

(إن الصلة بين الآية الكريمة وبين ماقبلها ومابعدها صلة واضحة بارزة، وثيقة دقيقة، نزلت فى سورة البقرة هذه السورة الكريمة التى اشتملت على كثير من الحكم البالغة والأحكام البليغة ففيها حديث عن القرآن ومواقف الناس المتباينة من هدايته، وفيها القصص والأمثال والأحكام الفقهية المتعددة وفيها عرض شامل للعقيدة الإسلامية، وبيان لجملة من الأخلاق الكريمة وفيها أيضاً تحذير من إخوة القردة والخنازير وكشف لفضائحهم ومفاسدهم حتى نكون منهم على حذر، وحتى يعتبر خلفاؤهم وحلفاؤهم. وفى السورة الكريمة أيضاً بيان لجملة من السنن الربانية فى هذا الكون ومنها اصطفاؤه عز وجل لأنبيائه وأصفيائه وسنة النصر والتمكين لأهل الإيمان واليقين، وسنة التدافع والتوازن فى الكون قال تعالى: **{فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِين * وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين * فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِين * تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِين }**[٧] .

---

٧) سورة البقرة الآيات [٢٤٩ إلى ٢٥٢]

وفى هــذا مايــدل علــى ســلطانه العظــيم وتــدبيره الحكــيم وإرادتـــه النافــذة البالغة وفضله العظيم.

ومن فضـــله وإكرامـــه ورحمتـــه وإنعامـــه: إرســـال الرســل بالآيـــات البينـــات وتفضــــيل بعضــــهم علــــى بعــــض بالمواهـــب الربانيـــة والنفحـــات الســـنية والدرجات العلية.

ومع ذلك فلقد كان للنـــاس مواقـــف متباينـــة مـــن الرســـل الكـــرام فمـــنهم مـــن آمن ومنهم من كفـــر، وتلـــك ســـنة مـــن ســـنن الله الكونيـــة والإنســـانية: ســـنة الاختلاف، فســـبحان مـــن جلـــت حكمتـــه وعلـــت مشـــيئته ونفـــذ مـــراده فـــلا يقع فى ملكه إلا ما أراده:

مشيئة الخالق الباري وحكمته وقدرة الله فوق الشك والتهم

قال تعالى: **{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَـكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}**(٨) ثـم يـأتى النـداء الإلهـى إلـــى الطائفـــة المؤمنـــة يـــأتى بتوجيـــه جديـــد إلـــى المـــؤمنين أن يبـــادروا ويســـارعوا بالإنفـــاق فـــى شـــتى وجـــوه الخيـــر قبـــل انقضـــاء الآجـــال وانطـــواء صـــحائف الأعمـــال والعـــرض علـــى الكبيـــر المتعـــال فـــى يـــوم لا بيـــع فيـــه ولا خـــلال، ولا شـــفاعة، فياحســـرة علـــى مـــن لا يقـــدم لنفســـه الإيمان قال تعـالى: **{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ**

---

(٨) سورة البقرة آية [٢٥٣]

أَن يَـــأْتِيَ يَـــوْمٌ لاَّ بَيْـــعٌ فِيـــهِ وَلاَ خُلَّـــةٌ وَلاَ شَـــفَاعَةٌ وَالْكَـــافِرُونَ هُـــمُ الظَّالِمُونَ}(٩) .

وبعــد هــذا النــداء الإلهــي تجــئ آيــة الكرســي وفيهــا عــرض لأصــول العقيدة الإســلامية فــى كلمــات وجيــزة بليغــة ورد فيهــا بيــان لوحدانيــة الله، وحياتـــه الأبديـــة الأزليـــة الذاتيـــة الكاملـــة، وقيوميتـــه وملكـــه لجميـــع المخلوقات، فلا شــريك لــه ولا شــفيع عنــده إلا بإذنــه، كمــا تحــدثت الآيــة الكريمــة عــن إحاطــة علمــه وســعة ملكــه وعظمــة مخلوقاتــه التــى تــدل وتشــهد علــى عظمــة ذاتــه وصــفاته وأفعالــه، ومــع ذلــك فإنــه تعــالى لا يثقل عليه شئ وهو تعــالى العظــيم فــى ذاتــه وصــفاته وأفعالــه. وبعــد هــذا البيــان والبرهــان القــوى الجلــي لأصــول العقيــدة الإســلامية فضــلاً عمــا ســبقه مــن تفصــيل وبيــان للحكــم والأحكــام، والقصــص والأمثــال، يبــين الله أنــه لا إكــراه فــى الــدين لأن الــدين الإســلامي لا يحتــاج إلــى إكــراه فهو دين واضــح المحجــة قــوى الحجــة ثــم تمضــي الآيــات الكريمــة بعــد ذلك فى جولــة جديــدة مــع الحجــج الســاطعة والبــراهين القاطعــة والأحكــام الرشيدة والحكــم الســديدة التــى تــدل علــى صــدق هــذا الــدين الــذى جــاء بالصـــلاح والفـــلاح للفـــرد والمجتمـــع فـــى الـــدنيا والآخـــرة)(١٠) .

---

٩) سورة البقرة آية [٢٥٤]

١٠) فى رحاب آية الكرسي "المقصد السني فــى تفســير آيــة الكرســي" ، أحمــد بــن محمــد الشرقاوي، ط (بدون)، تاريخ(بدون)، ص٨ .

ويقول الإمام النيسابورى [١١] عن صلة آية الكرسي بما بعدها: "لما بين دلائل التوحيد بيانا شافياً قاطعاً للأعزار ذكر بعد ذلك أنه لم يبق للكافر علة في إقامته على الكفر إلا أن يقسر على الإيمان ويجبر عليه، وذلك لا يجوز فى دار الدنيا التى هى مقام الابتلاء والإختبار وينافيه الإكراه والإجبار فالحق واضح أبلج"[١٢] .

كما يقول صاحب "روح المعاني" "ومناسبة الآية الكريمة لما قبلها أنه سبحانه لما ذكر أن الكافرين هم الظالمون، ناسب أن ينبههم جل شأنه إلى العقيدة الصحيحة التى هى محض التوحيد الذى درج عليه المرسلون على اختلاف درجاتهم وتفاوت مراتبهم بما اينعت على ذلك رياضه، وتدفقت حياضه وصدع عندليبه وصدع على منابر البيان خطيبه فلله الحمد على ما أوضح الحجة وأبان على وجه المحجة". كما يقول عن الصلة بين آية الكرسي والآية التى تليها " {لا إكراه فى الدين} جملة مستأنفة جئ بها إثر بيان دلائل التوحيد للإيذان بأنه لا يتصور الإكراه فى الدين لأنه فى الحقيقة إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً يحمله عليه؛ والدين خير كله"[١٣] .

---

[١١]) هو نظام الدين بن الحسن بن محمد، بن الحسين، الخراساني النيسابوري، المعروف بالنظام الأعرج، كان رحمه الله من أساطين العلم بنيسابور، ملماً بالعلوم العقلية، جامعاً لفنون العربية ، له القدم الراسخ فى صناعة الإنشاء والمعرفة الوافرة بعلم التأويل والتفسير .(التفسير والمفسرون للذهبي ١/ ٢٧٥)

[١٢]) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تأليف: نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمى النيسابوري، تحقيق: إبراهيم عطوة، ط (شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر)، تاريخ (١٣٨١هـ - ١٩٦٢م)، ١٦/٣ .

[١٣]) روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: أبى الفضل شهاب الدين السر محمد الألوسي البغدادي، تحقيق: محمد شكرالله الألوسي البغدادي، ط (دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان)، تاريخ (بدون)، ١٢٠/١ .

ويقـول صـاحب تفسـير المنـار موضـحاً صـلة آيـة الكرسـى بمـا قبلهـا: "بعد أن أمرنا الله تعالى بالإنفـاق فـى سـبيله قبـل أن يـأتى يـوم لامـال فيـه ولا كسـب؛ ولا ينجـى مـن عقابـه فيـه شـفاعة انتقـل – كـدأب القـرآن – إلـى تقـدير أصـول التوحيـد والتربيـة التـى تشـعر متـدبرها بعظـم سـلطانه تعـالى؛ ووجـوب الشـكر لـه والإذعـان لأمـره، والوقـوف عند حدوده وبذل المـال فـى سـبيله؛ وتحـول بينـه وبـين الغـرور والإتكـال علـى الشـفاعات والمكفـرات التـى جـرأت النـاس علـى نبـذ كتـاب الله وراء ظهورهم فقال: {الله لا إله إلا هو الحى القيوم})[١٤] .

(وفى التحريـر والتنـوير يقـول صـاحبها: "لمـا ذكـر هـول يـوم القيامـة، وذكـر حـال الكـافرين، إسـتأنف بـذكر تمجيـد الله تعـالى وذكـر صـفاته إبطـال لكفـر الكـافرين وقطعـاً لرجـائهم، لأن فيهـا {مـن ذا الـذي يشـفع عنـده إلا بإذنـه}، وجعلـت هـذه الآيـة ابتـداء لآيـات تقـدير الوحدانيـة والبعـث، وأودعـت هـذه الآيـة العظيمـة هنـا لأنهـا كـالبرزخ بـين الأغراض السابقة واللاحقة" .

كمـا يقـول عـن صـلة آيـة الكرسـي بالآيـة التـى تليهـا: "وتعقيـب آيـة الكرسـى بهـذه الآيـة بمناسـبة أن مـا اشـتملت عليـه الآيـة السـابقة مـن دلائـل الوحدانيـة وعظمـة الخـالق وتنزيهـه عـن شـوائب مـا كفـرت بـه الأمم ، من شـأنه أن يسـوق ذوى العقـول إلـى قبـول هـذا الـدين الواضـح العقيـدة، المسـتقيم الشـريعة، باختيـارهم دون جبـر ولا إكـراه، ومـن شـأنه

---

[١٤]) تفسير القرآن الحكيم المشهور باسم تفسير المنـار، تـأليف: محمـد رشـيد رضـا ط (دار المعرفة – بيروت – لبنان)، تاريخ (بدون)، ٢٠/٣ .

أن يجعل دوامهم على الشرك بمحل السؤال: أيتركون عليه أم يكرهون على الإسلام، فكانت الجملة إستئنافاً بيانياً")[١٥] .

ويقول صاحب الظلال عن صلة الآية الكريمة بما قبلها: "وبمناسبة الاختلاف بعد الرسل والاقتتال والكفر بعد مجئ البيان والإيمان .. بهذه المناسبة تجئ آية تتضمن قواعد التصور الإيماني، وتذكر من صفات الله سبحانه ما يقرر معنى الوحدانية فى أدق مجالاته وأوضح سماته وهى آية جليلة الشأن عظيمة الدلالة واسعة المجال"، كما يقول عن صلة الآية بما بعدها "وعندما يصل السياق بهذه الآية إلى إيضاح قواعد التصور الإيماني فى أدق جوانبها، وبيان صفة الله وعلاقة الخلق به هذا البيان المنير .. ينتقل إلى إيضاح طريق المؤمنين وهم يحملون هذا التصور، ويقومون بهذه الدعوة وينهضون بواجب القيادة للبشرية الضائعة")[١٦] .

وفى صفوة التفاسير يقول صاحبه فى مناسبة الآية لما قبلها وبعدها من الآيات: "ولما ذكر تعالى تفضيل بعض الأنبياء على بعض، وبيّن أن الخلائق قد اختلفوا من بعدهم وتنازعوا وتقاتلوا بسبب الدين، ذكر أن هذا التفضيل بين الأنبياء لا يستدعى الصراع بين الأتباع ولاالخصام والنزاع، فالرسل صلوات الله عليهم وإن كانوا متفاوتين

---

[١٥]) التحرير والتنوير، المؤلف: محمد الطاهر بن عاشور، الناشر: (الدار التونسية للنشر – تونس)، تاريخ (١٣٩٣هـ)، ١٧/٣ .

[١٦]) فى ظلال القرآن، تأليف: سيد قطب، ط (دار الشروق – القاهرة)، تاريخ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، ٤٢٤/٣ .

فـــى الفضـــل إلا أنهـــم جميعـــاً بـــدعوةٍ واحـــدة وهـــى "دعـــوة التوحيـــد" فرسالتهم واحدة ودينهم واحـــد، وأنـــه لا إكـــراه فـــى الـــدين فقـــد ســـطع نـــور الحق وأشرق ضياؤه" (١٧) .

(١٧) صفوة التفاسير، تأليف: محمـــد علـــى الصـــابونى، ط (دار القـــرآن الكـــريم – بيـــروت)، تاريخ (١٤٠٢هـــ - ١٩٨١م)، ص١٦٢ .

المبحث الثالث: الدراسة البلاغية للآية

(*الله لا إلـــه إلا هـــو:* بـــدأت الآيـــة بالمطلـــب الأول للعقيـــدة وهـــو التوحيـــد ونفى الشرك، لـــذا جـــاء ذلـــك بالابتـــداء باســـم الله ثـــم اخبـــر عـــن وحدانيتـــه [لا إله إلاهو]. ونلاحـــظ أن كـــل جملـــة مـــن الآيـــة تصـــلح أن تكـــون خبـــراً عن الله ولهـــذا كانـــت هـــذه الآيـــة مترابطـــة أشـــد التـــرابط فالمتحـــدث عنـــه واحـــد، وقـــد ورد فـــى البحـــر المحـــيط أن جمـــل الآيـــة مرتبـــة مـــن غيـــر حـــرف عطـــف وذلـــك لأن "مـــا منهـــا جملـــة إلا وهـــى واردة علـــى ســـبيل البيان لما ترتبـــت عليـــه، والبيـــان متحـــد بـــالمبين ... وتضـــمنت هـــذه الآيـــة الكريمـــة صـــفات الـــذات منهـــا الوحدانيـــة ... والحيـــاة الدالـــة علـــى البقـــاء والقـــدرة"[١٨] والقصـــر فـــى قولـــه (لا إلـــه إلا الله) حقيقـــى خصصـــت الألوهية به ســـبحانه لا تتجـــاوزه إلـــى ســـواه. والملاحـــظ أن الآيـــة لـــم تبـــدأ بـــــ (إلهكـــم) أو (ربكـــم) مـــثلاً بـــل جـــاءت بلفـــظ الجلالـــة (الله) الـــذى لا يشـــترك فيـــه أحـــدٌ معـــه ســـبحانه بينمـــا يصـــلح لفـــظ (رب) و (إلـــه) لأى معبـــود، إلا إذا أضـــافا إلـــى مايبينهمـــا ويعرفهمـــا كالضـــمير مـــثلاً، ولكـــن المقام لـــيس فـــى الخطـــاب المباشـــر للنـــاس بـــل فـــى تعظـــيم ذات الله، فقـــد قـــال: ولا يحيطـــون ولـــم يقـــل: تحيطـــون، كمـــا أن المقـــام فـــى الربوبيـــة "الرعاية والعناية والتربية" ولـــذا لـــم يقـــل: ربكـــم، بـــل فـــى توحيـــد الألوهيـــة الظاهر فى كل كلمة مـــن الآيـــة. والملاحـــظ أنـــه تعـــالى فـــى ســـورة البقـــرة

---

[١٨]) البحر المحيط فى التفسير، تأليف: أبو حبان محمد بن جوسق بـــن علـــى بـــن يوســـف بـــن حبان أثير الدين الأندلسى، تحقيق: صدقى محمـــد جميـــل، ط (دار الفكـــر – بيـــروت)، تـــاريخ (١٤٢٠هـــ)، ٢٩١/٣.

نفسها قال: **{ وَإِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيم * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}** [١٩] .

فقال: إلهكم، بالإضافة إلى ضمير المخاطب، وهو يتناسب مع ذكر التسخير والنفع للناس، ويتناسب أيضاً مع الرحمة (الرحمن الرحيم) فلأنه إلههم هو رحمان رحيم بهم. أما فى آية الكرسى فالمقام مختلف إذ سبقها اختلاف الناس وفساد عقائدهم بعد رسلهم فجاءت هذه الآية لتوحدهم على إعتقاد واحد لا مجال للتشكيك به، فجاء بالإسم العلم له سبحانه مخاطباً الناس عامة، ولو قيل: إلهكم لا إله إلا هو، لاحتمل أن يكون الخطاب للمسلمين خاصة، كما أن هذه العبارة لا تتناسب فى هذا السياق فأنت تقول: لا إله إلا الله، ولا تقول: لا إله إلا إلهنا، ولأن العبارة الثانية يمكن أن يدعيها من يوحد غير الله – جل سبحانه وتعالى عن الشرك – وسيبقى الخلاف قائماً بين الفرق.

فجاءت الآية بما يزيل هذا الخلاف بذكر اسم العلم للمعبود الحق. وفى حذف المسند (موجود) بلاغة لدلالة القرينة عليه بالإبدال من الضمير المتسكن فيه (هو).

الحى القيوم: جاء بالتعريف للدلالة على القصر والكمال فلو قال (الله حى) لكان من جملة الأحياء، ولكنه هو الحى فلا حى فى الحقيقة

---

[١٩]) سورة البقرة الآيات [١٦٣ - ١٦٤]

غيـره، إذ كـل حـى سـواه يجـوز عليـه المـوت، وكـذلك لا قيـوم سـواه. ولو قيل: وهو الحى القيـوم، لكـان فـى ذلـك تكـرار مباشـر غيـر مسـتحب للضمير (هو) لا داعـى لـه، فكـان فـى حـذف المسـند إليـه إحتـراز عـن العبث لتعينه لدى السـامع إضـافة إلـى الاتسـاع فـى المعنـى إذ جـاز لـذلك الأوجـه السـابقة للحـى [البـدل والصـفة والمبتـدأ والخبـر ..]، وكـل منهـا يؤدى معنى مختلفـاً، وهـذه المعـاني تجتمـع فـى ذهـن السـامع بعضـها أو جميعها حسـب حالتـه وثقافتـه لإحـداث التـأثير والإشـعار بعظمـة الخـالق، فمـثلاً وجـه الصـفة يفيـد المـدح للمسـند إليـه (الله) لأن الموصـوف قـد تعين قبـل ذكـر هـذا الوصـف، ومعنـى ذلـك أنـك عنـدما تقـول: حسـن العالم جاء، فإذا كـان حسـن هـذا غيـر معـروف لـدى السـامع إلا بالعـالم، أى أنـه يعـرف أكثـر مـن حسـن ولا يـدرى مـن تقصـده مـنهم فعندئـذ تكون هذه الصـفة لتخصيصـه، أمـا إذا كـان حسـن معهـوداً لـدى المـتكلم والمتلقـى فالمقصـود مـن الصـفة عنـدها المـدح والثنـاء كقولـك: إبنـى الطبيب الشـاعر الكـريم أتـى. وقـدم (الحـى) علـى (القيـوم)، لأن الخـالق إذا لـم يكـن حيـاً لـن يكـون قيومـاً بتـدبير أمـور خلقـه فالحيـاة صـفة ضـرورية للإلـه وبعـدها تـأتى الصـفات الأخـرى. ونلاحـظ أنـه قبـل أن يذكر ملكـه ذكـر اسـتحقاقه لـه وقدرتـه علـى تـدبيره بصـفات لا يسـتطيع أحـد أن يـدعيها لنفسـه فكـل الخلـق يموتـون وبالتـالى كـل ادعـاء مـنهم لهـذه الملكيـة أو الربوبيـة باطـل لـبطلان الصـفات الضـرورية لـذلك عندهم، كما أفادت الأسمية الثبوت والدوام فهو حى بحياة لا تزول.

لا تأخذه سنة ولا نوم: أى لا تغلبه، ونكر الإسمين لإفادة التعميم والتحقير، أى لا تأخذه سنة قليلة أو كثيرة، وذكر السنة قبل النوم لأنها من مسبباته. كما جاء بالمضارع المنفى بـ (لا) ليفيد حالة دائمة متجددة فى كل حين.

*له ما فى السماوات ...:*قال (ما) ولم يقل (من) ليدل على العاقل وغيره. وقدم (له) لحصر المُلكية به سبحانه فلا يشاركه بذلك أحد، كما كرر (ما) ليدل على الشمول والإحاطة لما فى السماوات والأرض. وذكر الملكية بعد وصفه بالحى القيوم للدلالة على أنه قائم بأمر ملكه هو وذلك كمال القيومية، فالذى يقوم بملكه ليس كمن يقوم بملك غيره.

من ذا الذى ... : معناه النفي، لكنه أقوى من قولك: لا يشفع أحد إلا بإذنه. لأن فيه معنى الإستفهام الإنكاري. وهذه العبارة دليل أيضاً على أنه حى قيوم فالذى يُستشفع ويأذن بالشفاعة هو حى، والذى لا يشفع أحد إلا بإذنه هو القائم على كل شئ. ولم يقل: (من الذى) بل زاد (ذا) فأفاد معنيين:

<u>الأول</u> أن تكون (من ذا) كلمة واحدة بمعنى (من) فتكون أقوى من (من) لزيادة مبناها، فناسبت المقام الذى بحاجة إلى توكيد إذ لا يشفع أحد إلا بإذنه.

<u>والثانى</u> أن تكون (ذا) إشارية فيكون المعنى: من هذا الذى يشفع؟ ولو أنه قال: من الذى يشفع؟ لفات معنى الإشارة. ولو قال: من هذا الذى يشفع؟ لفاتت قوة الإستفهام فى المعنى الأول، فجمع بقوله تعالى

بين المعنيين. كما أفاد إسم الإشارة تحدى من يدعى الشفاعة دون إذنه تعالى وتحقيره كما تقول: أهذا من يدعى مجابهتى، وأفاد الإسم الموصول الإبهام والإبهام يفيد بدوره تهويل أمر الشفاعة التى لا تكون إلا بعد أمره سبحانه مما يجعل المتلقى يصغى باهتمام إلى جملة الصلة لإزالة هذا الإلتباس، فيكون وقعه أكبر ويكون أوجب التأثير.

يعلم ما بين أيديهم .. : فالله تعالى لا يأذن إلا عن كمال العلم بأحوال البشر والشافع والمشفوع منهم. ولم يقل كما فى سورة مريم: **{ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا }** (٢٠) . إذ ذكر الملك هنا بينما ذكر العلم فى آية الكرسي لأن المقام فى مريم عن الملكية فقال: **{ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا }** (٢١) . أما فى آية الكرسى فناسب العلم قوله: (ولا يحيطون بشئ من علمه) ، والملاحظ أنه ذكر العلم ولم يذكر المعرفة لأن معناه إدراك الشئ بحقيقته، ويفيد إدراك الكلى والمركب، أما المعرفة فهى لإدراك الجزئى أو البسيط.

ولا يحيطون ... : قوله: (بما شاء) جمع فيه معنيين : لا يحيطون بشئ إلا بالذى يشاؤه (بدل) وبمشيئته (على المصدرية) . فدل ذلك على أن من سواه لا يعلم شيئاً إلا ما أراده الله وبالقدر الذى يشاؤه قيوم السماوات والأرض. ولو قال: (إلا بما شاءه) لانتفى وجه المصدرية، وتحتم الاسم الموصول، ولو قال: (إلا بمشيئته) لتحتمت

---

(٢٠) سورة مريم آية {٦٤} .

(٢١) سورة مريم آية {٦٥} .

المصدرية، فجمعهما معاً فى قوله اتساعاً للمعنى، وقصداً للإختصار. وجاء بكلمة (شئ) وهى تفيد الإبهام ووضحها بعد ذلك بالجار والمجرور (من علمه) لما فى هذا الأسلوب من تأثير فى المتلقى وجذب لانتباهه كما نكر كلمة (شئ) لإفادة التحقير، أى مهما كان هذا الشئ صغيراً فهم لا يملكون إدراكه من جميع نواحيه، ونلاحظ أنه إستعمل الإحاطة التى تفيد إدراك الأمر من جميع جوانبه، مع أصغر شئ من العلم لينفى شمولية المعرفة لديهم عن الشئ مهما كان صغيراً إلا ما يشاء هو أن يعلمهم به. وأفاد القصر عن طريق النفى والاستثناء إيجازاً وتكثيفاً للدلالة بلفظ قليل.

وسع كرسيه السماوات ..: قوله (له ما فى السماوات وما فى الأرض) يدل على أن ما فيهما ملكه، وقوله: (وسع ..) دل على أنهما ملكه، فدل بهاتين الجملتين أنه مالك للسماوات والأرض وما فيهما كما دل على أن ملكه أوسع من ذلك بكثير (وسع) ولم يقل (يسع) بل قاله بالماضى ليدل على أنه وسعهما فعلاً، ولو قال: (يسع) لكان إخباراً عن مقدار السعة وإن لم يكن حاصلاً، كما تقول: تسع دارى ألف شخص، فهذا لا يعنى أنها حُدَّ فيها ذلك العدد فوسعتهم بخلاف: وسعت دارى ألفاً. فهذا يدل على حصوله فعلاً.

ولا يؤده حفظهما: وهو دليل على كمال القيومية. وجاء بـ (لا) مع المضارع لإفادة الإطلاق، فهذه صفته سبحانه على وجه الاستمرار فى الحال والاستقبال.

بــدأت آيــة الكرســي باســمين لله (الحــى القيــوم) وانتهــت باســمين أيضــاً (العلى العظيم). وكل جملة مــن جمــل الآيــة تــدل علــى أنــه الحــى القيــوم، فالإلــه حــى قيــوم وإلا لــم يســتحق الألوهيــة، والمالــك والــذى يعلــم ولا يحاط بــه علمــاً والــذى لا يشــفع إلا بإذنــه والــذى وســع ملكــه الســماوات والأرض ... هو حى قيــوم لا محالــة، كمــا أن كــل جملــة تــدل علــى أنــه العلي العظيم. والملاحظ فــى الخــط البيــاني للآيــة أنهــا تــذكر مــن الأشــياء إثنــين إثنــين، فبــدأت بصــفتين لله وكــذلك انتهــت، وكــررت كــلاً مــن (لا) و (ما) مرتين، وذكــرت إثنــين مــن علمــه (مــا بــين أيــديهم ومــا خلفهــم) وإثنين مــن مُلكــه (مــا فــى الســماوات ومــا فــى الأرض) واثنــين وســعهما كرسيه (الســماوات والأرض) ولــم يــذكر (العلــى العظــيم) بدايــة بــل جعــل الختام بهما بعــد أن ذكــر موجباتهمــا، فبعــد أن ذكــر ســعة ملكــه وألوهيتــه ... أدرك الســـامع علــوه وعظمتــه فناســب إدراكــه هــذا وذكرهمــا مصرحتين تأكيداً لما فى الذهن)[٢٢] .

---

[٢٢]) نقلا مــن موقــع حلــم الباحــث العربــى WWW.BAHETH.INFO بحــث بعنــوان: "آية الكرسى دراسة نحوية صرفية بلاغية" ، تاريخ ٣٠ أكتوبر ٢٠١٠م .

المبحث الرابع: فضل آية الكرسى

هــذه الآيـــة الكريمـــة أعظـــم آيـــات القـــرآن وأفضـــلها وأجلهـــا وذلـــك لمـــا اشـــتملت عليـــه مـــن الأمـــور العظيمـــة والصـــفات الكريمـــة، فلهـــذا أكثـــرت الأحاديـــث فـــى الترغيـــب فـــى قراءتهـــا وجعلهـــا ورداً للإنســـان فـــى أوقاتـــه صـــباحاً ومســـاءاً وعنـــد نومـــه وأدبـــار الصـــلوات المكتوبـــات وســـأذكر فـــى هذا البحـــث إن شـــاء الله بعـــض الأحاديـــث الـــواردة فـــى فضـــل هـــذه الآيـــة الكريمة.

عن أُبِّى بـــن كعـــب [٢٣] رضـــي الله عنـــه قـــال: قـــال رَسُـــولُ اللّـــهِ صَـــلّى اللّه عَلَيْهِ وَسَـــلّمَ : « يـــا أبـــا المنـــذر أتـــدري أي آيـــة مـــن كتـــاب الله معـــك أعظم؟ قال: قلت: الله ورســـوله أعلـــم، قـــال: يـــا أبـــا المنـــذر أتـــدري أي آيـــة من كتاب الله معـــك أعظـــم؟ قـــال: قلـــت " الله لا إلـــه إلا هـــو الحـــى القيـــوم" فضرب فى صدري وقـــال: ليهنـــك العلـــم يـــا أبـــا المنـــذر»[٢٤] وفـــى روايـــة لهذا الحديث «والذي نفســـى بيـــده إن لهـــا لســـاناً وشـــفتين تقـــدس الملـــك عنـــد ساق العرش»[٢٥] .

---

[٢٣]) هو أبو المنذر، أو أبو الطفيل، أبى بـــن كعـــب بـــن قـــيس، الأنصـــارى الخزرجـــي شـــهد العقبة وبدراً، وهو أول من كتب لرسول الله، وقد أثنى عليـــه عمـــر رضـــي الله عنـــه فقـــال: " أبى سيد المسلمين" . وقد اختلف فى وفاته على أقوال كثيرة، والأكثـــر أنـــه مـــات فـــى خلافـــة عمر بن الخطاب . سير أعلام النبلاء، ٢٣٦/٣ .

[٢٤]) رواه مسلم فى كتاب صلاة المســـافرين وقصـــرها، بـــاب: فضـــل ســـورة الكهـــف وآيـــة الكرسى، حديث رقم (٨١٠) .

[٢٥]) رواه أحمد (١٤١/٠).

فالعلم بأعظم آية في كتاب الله عز وجل فضيلة، ويهنئ الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الصحابي الجليل بمعرفته أفضل آية في كتاب الله، ويصفه بالعلم بمعرفتها. وجاءت أحاديث أخرى توجهنا لنختم بها يومنا، فلا ننام إلا بهذه الآية العظيمة؛ لأن النوم هو الموتة الصغرى، فإما أن يعود الإنسان إلى هذه الحياة وإما ينتقل إلى رحمة الله تبارك وتعالى)[٢٦] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو الطعام فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إني محتاج، وعليّ عيال، ولي حاجة شديدة . قال: فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ » قال: قلت يا رسول الله: شكا حاجة شديدة وعيالاً، فرحمته، فخليت سبيله، قال: أما إنه كذبك وسيعود، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه سيعود، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: دعني فإني محتاج، وعليّ عيال لا أعود، فرحمته وخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:« يا أبا هريرة: ما فعل أسيرك ؟» فقلت يا رسول الله: شكا حاجة شديدة وعيالاً، فرحمته فخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك

---

[٢٦]) تأملات فى آية الكرسى، إعداد الدكتورعبدالله بن على بصفر، ط (دار نور المكتبات – جده)، تاريخ (١٤٢٧هـ)، ص٩.

وسـيعود» ، فرصـدته الثالثـة، فجـاء يحثـو مـن الطعـام فأخذتـه فقلـت: لأرفعنك إلى رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم وهـذا آخـر ثـلاث مـرات انك تزعم لا تعود، قـال: دعنـى أعلمـك كلمـات ينفعـك الله بهـا قلـت: مـا هى؟ قال: إذا أويـت إلـى فراشـك فـاقرأ آيـة الكرسـى (الله لا إلـه إلا هـو الحى القيوم) حتى تخـتم الآيـة، فإنـه لـن يـزال عليـك مـن الله حـافظ، ولا يقربنـك شـيطان حتـى تصـبح، فخليـت سـبيله، فأصـبحت، فقـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: « مـا فعـل أسـيرك البارحـة؟ »، قلـت: زعـم أنـه يعلمنـي كلمـات ينفعنـي الله بهـا فخليـت سـبيله قـال: « مـا هـى » قلت: قال لى: إذا أويت إلـى فراشـك فـاقرأ آيـة الكرسـي مـن أولهـا حتـى تختم (الله لا إله إلا هو الحـى القيـوم) وقـال لـى: لـن يـزال عليـك مـن الله حـافظ ولا يقربنـك شـيطان حتـى تصـبح، فقـال النبـى صـلى الله عليـه وسلم: « أما أنه قـد صـدقك وهـو كـذوب، تعلـم مـن تخاطـب منـذ ثـلاث ليـالٍ يـا أبـا هريـرة؟ » قـال: لا قـال صـلى الله عليـه وسـلم : « ذاك الشيطان » "[٢٧] .

وقوله (صدقك وهـو كـذوب) تأكيـد مـن رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ، أن المسلم إذا قرأ هـذه الآيـة عنـد نومـه لا يـزال عليـه مـن الله حـافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح .

وهنالك حـديث فـى أنهـا تحفـظ مـن قرأهـا فـى أول النهـار و أول الليـل، عن أبـي هريـرة رضـي الله عنـه قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليـه

---

[٢٧]) رواه البخاري فى كتاب الوكالة، بـاب: إذا وكـل رجـلاً فتـرك الوكيـل شـيئاً فأجـازه الموكل فهو جائز، حديث رقم (٢٣١١) .

وسلم: « من قرأ (حـم المـؤمن) إلـى (إليـه المصـير) وآيـة الكرسـي حـين يصبح حفظ بهما حتى يمسـي ومـن قراهمـا حـين يمسـي حفـظ بهمـا حتـى يصبح » [٢٨] .

وعن أبى هريـرة رضـي الله عنـه قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم: « سورة البقرة فيهـا آيـة سـيدة آى القـرآن، لا تقـرأ فـى بيـت فيـه شيطان إلا خرج منه؛ آية الكرسى »[٢٩] .

وهنالك حديث يوجـه المسـلم ليخـتم صـلاته، ويخـتم يومـه، ويخـتم حياتـه بهذه الآية فعن الحسـن بـن علـى رضـي الله عنهمـا قـال: قـال رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم: « مـن قـرأ آيـة الكرسـي دبـر الصـلاة المكتوبـة، كان فى ذمـة الله ألـى الصـلاة الأخـرى » [٣٠] فـإذا ختمـت صـلاتك بهـذه الآيـة وحافظـت عليهـا فجـزاؤك أن يحفظـك الله وتكـون فـى ذمتـه وفـى عهده، وفـى رعايتـه وفـى أمانـه، فمحافظتـك عليهـا بـإذن الله عـز وجـل حفظ من الله لك .

وعن أبى أمامة رضي الله عنه، أن النبى صـلى الله عليـه وسـلم قـال: « مـن قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه مـن دخـول الجنـة إلا أن يمـوت »[٣١] ، أى ليس بينه وبين الجنة حاجز ولا مـانع ولا عـائق إلا المـوت فـإذا حـدث الموت دخل الجنة ببركة قراءة هذه الآية فمـن واظـب عليهـا، وحـافظ عليهـا،

---

[٢٨]) رواه الترمذي فى كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جـاء فـى فضـل سـورة البقـرة وآيـة الكرسى، حديث رقم (٢٨٧٦) .

[٢٩]) رواه الحاكم، فى كتاب التفسير من سورة البقرة، حديث رقم (٣٠٣٠) .

[٣٠]) رواه الطبراني في الدعاء : لم أقف عليه

[٣١]) رواه النسائي في عمل اليوم والليله ص ١٨٢

وتذكر هذا الحديث وهو عند كل صلاة يقرؤها بعد الصلاة، وهو متيقن فى قلبه أن لها هذا الأجر العظيم، وهذا الثواب الكبير، وأنه إذا قرأها وجاء أجل الله دخل الجنة بإذن الله تعالى.

وهنالك أحاديث أخرى فى فضل هذه الآية الجليلة، فعن أيفع بن عبدالله الكلاعى [٣٢] قال: قال رجل: يا رسول الله أى آية فى كتاب الله أعظم؟ قال: « آية الكرسي الله لا إله إلا هو الحى القيوم » قال: فأى آية فى كتاب الله تحب أن تصيبك وأمتك؟ قال: « آخر سورة البقرة، فإنها من كنز الرحمة من تحت عرش الله، ولم تترك خيراً فى الدنيا والآخرة إلا اشتملت عليه »[٣٣] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لكل شئ سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هى سيدة آى القرآن هى آية الكرسي »[٣٤] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ فى دبر كل صلاة مكتوبة آية

---

٣٢) أيفع بن عبد الله الكلاعي : لم أقف علي ترجمته

٣٣) رواه الدارمي في كتاب فضائل القران ، باب ماجاء في فضل سورة البقره وآية الكرسي حديث رقم (٢٨٧٦)

٣٤) رواه الترمذى في كتاب فضائل القران ، باب ماجاء في فضل سورة البقره وآية الكرسي حديث رقم (٢٨٧٨)

الكرسـي حفـظ إلـى الصـلاة الأخـرى ولا يحـافظ عليهـا إلا نبـي أو صديق أو شهيد »[٣٥] .

٣٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٢ / ٤٥٩

الفصـــــــل الثانى: التفسير التحليلى للآية

المبحث الأول: التوحيـــــــــــد

المبحث الثانى: كمال حياة الله سبحانه وتعالى وكمال قيوميته

المبحث الثالث: الله سبحانه وتعالى لا يعتريه نقص ولا غفلة

المبحث الرابع: ملك الله سبحانه وتعالى المطلق

المبحث الخامس: الشفاعة

المبحث السادس: علم الله سبحانه وتعالى

المبحث السابع: إثبات قوة الله تعالى

المبحث الثامن: الكرسي واختلاف العلماء فيه

المبحث التاسع: كمال قدرة الله سبحانه وتعالى

المبحث العاشر: علو الله سبحانه وتعالى وعظمته

المبحث الأول: التوحيـــــــــــد

نبدأ الحديث فـــى تفســير هــذه الآيـــة، بالحــديث عــن كلمـــة التوحيـــد، التـــى ابتـــدأ الله بهـــا تبـــارك وتعـــالى هـــذه الآيـــة ، ولأن هـــذه أفضـــل آيـــة فـــى القـــرآن ابتـــدأت بكلمـــة التوحيـــد، (الله لا إلـــه إلا هـــو) فهـــذه الكلمـــة هـــى كلمة التوحيـــد المباركـــة، التـــى لأجلهـــا أرســـل الله الرســـل، ولأجلهـــا أنزلـــت الكتـــب، وشـــرعت الشـــرائع، وقســـم النـــاس لأجلهـــا أيضـــاً إلـــى فـــريقين **{فَرِيقٌ فِي الْجَنَّـــةِ وَفَرِيـــقٌ فِـــي السَّـــعِيرِ}**[٣٦] كـــل ذلـــك بســـبب هـــذه الكلمـــة العظيمـــة ، ومعناهـــا: " لا رب غيـــره ولا معبـــود ســـواه وهـــو ســـبحانه المتفـــرد بالربوبيـــة والألوهيـــة. وتوحيـــد الله تعـــالى هـــو أســـاس العقيـــدة الصـــحيحة ، ودعـــوة جميـــع الأنبيـــاء علـــيهم الســـلام مـــن آدم وحتـــى خـــاتم النبيين والمرسلين "[٣٧] ، قال تعالى: **{وَمَـــا أَرْسَـــلْنَا مِـــن قَبْلِـــكَ مِـــن رَّسُـــولٍ إِلاَّ نُـــوحِي إِلَيْـــهِ أَنَّـــهُ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ أَنَـــا فَاعْبُـــدُونِ}**[٣٨] ، وقـــال تعـــالى: **{وَمَا أَرْسَـــلْنَا مِـــن قَبْلِـــكَ مِـــن رَّسُـــولٍ إِلاَّ نُـــوحِي إِلَيْـــهِ أَنَّـــهُ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ أَنَـــا فَاعْبُدُونِ}**[٣٩] .

وقد قسم العلماء التوحيد إلى ثلاثة أقسام:-

أولها: توحيد الربوبية:

---

[٣٦]) سورة الشورى آية [٧] .

[٣٧]) فى رحاب آية الكرسي، أحمد بن محمد الشرقاوى، ص١.

[٣٨]) سورة الأنبياء آية [٢٥] .

[٣٩]) سورة النحل آية [٢] .

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى رب كل شئ فلا رب غيره "[٤٠]

قال تعالى: **{إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}**[٤١] ، **و قال تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُون * فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُون}**[٤٢] .

ثانيها: توحيد الألوهية:-

" وهو توحيد الله تعالى بأفعال العباد التى تعبدهم الله بها كالنحر، والنذر، والدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة والرهبة، والإنابة، والخشوع، والخشية، وغير ذلك من أنواع العبادة، التى شرعها الله، وأمر بها عباده، فيجب صرفها لمن يستحقها وهو الله جل وعلا .

---

[٤٠]) عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، صالح بن إبراهيم البليهى، تاريخ (الطبعة الثانية-١٤٠٤هـ)، ط (المطابع الأهلية للأوفست – الرياض)، ٣٢٦/١.

[٤١]) سورة الأعراف آية [٥٤] .

[٤٢]) سورة يونس آية [٣١-٣٢] .

فمن ذبح أو نذر لصنم، أو وثن، أو صاحب قبر أو دعا غير الله من أهل القبور، أو استعاذ، أو استعان بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد كفر وأشرك بالله العظيم "[43] ، قال تعالى: **{وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِين}**[44] .

وقال تعالى: **{إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا}**[45] .

ثالثها: توحيد الأسماء والصفات:-

أما توحيد الأسماء فيقتضي الإيمان بما عليه كل اسم من معنى، وما يتعلق به من آثار.

قال تعالى: **{ وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون }**[46] ، و قال تعالى: **{ قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا }**[47] ، و قال تعالى: **{ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى }**[48]

---

[43]) عقيدة المسلمين ، صالح بن إبراهيم البليهي ، جـ١، ص٣٢٩ ، سبق ذكره .

[44]) سورة الزمر آية [٦٥] .

[45]) سورة النساء آية [١١٦] .

[46]) سورة الأعراف آية [١٨٠] .

[47]) سورة الاسراء آية [١١٠] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة »[٤٩] ، وأسماء الله تعالى ليست منحصرة فى التسعة وتسعين اسماً ولكن لله عز وجل أسماء أخرى غير تلك الأسماء ، دل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال الل إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي »[٥٠] .

" وأما توحيد الصفات فيقتضى الإيمان بها بلا تعطيل أو تشبيه بالحوادث وتفويض علم كيفيتها لله تعالى فهو تعالى أعلم بنفسه منا والإيمان بعدم وجود صفتين لله تعالى من جنس واحد كقدرتين أو إرادتين .

وأما توحيد الأفعال فمعناه عدم وجود فعل لأحد غيره يشبه فعله تعالى "[٥١] ، قال تعالى: { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ**

---

٤٨) سورة طه آية [٨] .

٤٩) رواه الإمام البخاري عن أبى هريرة ، كتاب التوحيد، باب: إن لله مائة اسم إلا واحدة، حديث رقم ٦٤١٠ .

٥٠) رواه الإمام أحمد ، ١٨٠/٥ .

٥١) عقيدة المسلمين ، صالح بن إبراهيم البليهي ، جـ١، ص٣٣١ ، سبق ذكره .

السَّمِيعُ البَصِير }[٥٢] ، و قال تعالى: **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد * اللَّهُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَد }**[٥٣] .

وكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) متضمنة لجميع أنواع التوحيد ، لأن معناها توحيد الله في ألوهيته الذي يتضمن توحيد الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته .

نواقض التوحيد:

" نواقض التوحيد كثيرة، لكن نذكر أخطرها وأكثرها وقوعاً وهي عشرة:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، قال تعالى: **{إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا}**[٥٤] ، و قال تعالى: **{ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَار}**[٥٥] ومن ذلك دعاءالأموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم .

*الثاني:*من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً .

---

٥٢) سورة الشورى آية [١١] .
٥٣) سورة الإخلاص آية [١-٤] .
٥٤) سورة النساء آية [١١٦] .
٥٥) سورة المائدة آية [٧٢] .

الثالث: من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر .

الرابع: من اعتقد أن هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فمن اعتقد ذلك فهو كافر .

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولو عمل به فقد كفر لقوله تعالى: **{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُم }**[٥٦] .

السادس: من استهزأ بشئ من دين الرسول صلى الله عليه وسلم أو بثواب الله أو عقابه كفر والدليل قوله تعالى: **{قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُون * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ }**[٥٧] .

السابع: السحر ومنه الصرف كصرف الرجل عن محبة زوجته إلى بغضها، والعطف وهو ترغيب الإنسان فيما لا يهواه بطريقة شيطانية، فمن فعل أو رضي به كفر والدليل قوله تعالى: **{وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ }**[٥٨] .

---

٥٦) سورة محمد آية [٩] .

٥٧) سورة التوبة آية [٦٥-٦٦] .

٥٨) سورة البقرة آية [١٠٢] .

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين والدليل قوله تعالى: **{وَمَن يَتَولَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِين }**[٥٩] .

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر لقوله تعالى: **{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِين }**[٦٠] .

العاشر: الأعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به والدليل قوله تعالى: **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُون }**[٦١] .

ولا فرق فى جميع هذه النواقض بين الهازئ والجاد والخائف إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً وأكثر وقوعاً، فينبغى للمسلم أن يحذرها ويخاف على نفسه منها " [٦٢] .

---

[٥٩]) سورة المائدة آية [٥١] .

[٦٠]) سورة آل عمران آية [٨٥] .

[٦١]) سورة السجدة آية [٢٢] .

[٦٢])التوحيد فطرة الله التى فطر الناس عليها، تأليف: فتحى بن عبد الفضيل بن على، ص٢٢، ط (بدون) ، تاريخ (بدون) .

المبحث الثانى: كمال حياة الله سبحانه وتعالى وكمال قيوميته

(الحى)

قال الإمام الطبـــرى [٦٣] فـــى تفســيره: " (الحـــى) الـــذى لـــه الحيـــاة الدائمـــة والبقـــاء الـــذى لا أول لـــه ولا آخـــر إذ كـــل مـــا ســـواه فإنـــه وإن كـــان حيـــاً فلحياتـــه أول محـــدود و آخـــر محـــدود ينقطـــع بانقطـــاع أمـــدها وينقضـــي بانقضاء غايتها "[٦٤] .

الحى: الذى له جميـــع معـــانى الحيـــاة الكاملـــة مـــن الســـمع والبصـــر والعلـــم والقدرة والإرادة وغيرها [٦٥] .

(ومن هنـــا فهنالـــك فـــارق بـــين حيـــاة المخلـــوق وحيـــاة الخـــالق، فحيـــاة الله تعالى ذاتيـــة، وحيـــاة جميـــع المخلوقـــات مـــن الله تعـــالى، وحيـــاة الله تعـــالى أزليـــة، وحيـــاة المخلوقـــات حادثـــة، وحيـــاة الله تعـــالى لا حـــد لهـــا ولا أمـــد لها ولا منتهـــى لهـــا، وحيـــاة المخلوقـــات محـــدودة منتهيـــة بانتهـــاء الآجـــال، وحظ العبد من هـــذا الاســـم أن يعمـــل للحيـــاة الحقيقيـــة، الحيـــاة الباقيـــة، فـــى الدار الآخـــرة قـــال تعـــالى: **{وَمَـــا هَـــذِهِ الْحَيَـــاةُ الـــدُّنْيَا إِلاَّ لَهْـــوٌ ولَعِـــبٌ وَإِنَّ**

---

[٦٣]) هو أبو جعفر، محمد بن جرير بـــن يزيـــد بـــن كثيـــر بـــن غالـــب الطبـــري، ولـــد ســـنة ٢٢٤هـــ بطبرستان ورحل فى طلب العلم وهو ابـــن ١٢ ســـنة اســـتقر ببغـــداد وتـــوفى فيهـــا سنة ٣١٠هـــ . (التفسير والمفسرون ١/١٨٠) .

[٦٤]) جامع البيان فى تفسير القرآن، تأليف: أبـــى جعفـــر محمـــد بـــن جريـــر الطبـــري، ط (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان)، ٣/٣٨٧ .

[٦٥]) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنـــان، تـــأليف: عبـــد الـــرحمن ناصـــر الســـعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحى، الناشر: دار الرسالة، ١/٢١٨ .

الــدَّارَ الآخِــرَةَ لَهِــيَ الْحَيَــوَانُ لَــوْ كَــانُوا يَعْلَمُــون }[٦٦] ، وقـــال تعـــالى: **{ يَوْمَئِذٍ يَتَــذَكَّرُ الإِنسَــانُ وَأَنَّــى لَــهُ الــذِّكْرَى * يَقُــولُ يَــالَيْتَنِي قَــدَّمْتُ لِحَيَــاتِي }**[٦٧] ، ولا ســـبيل إلـــى هـــذه الحيـــاة الحقيقيـــة الحيـــاة الهادئـــة الهانئـــة الراضـــية المرضـــية إلا بالاســـتجابة لنـــداء الحـــق قـــال تعـــالى: **{ يَاأَيُّهَــا الَّــذِينَ آمَنُــواْ اسْــتَجِيبُواْ لِلّــهِ وَلِلرَّسُــولِ إِذَا دَعَــاكُم لِمَــا يُحْيِــيكُمْ }**[٦٨] ، وقـــال تعـــالى: **{ مَــنْ عَمِــلَ صَــالِحًا مِّــن ذَكَــرٍ أَوْ أُنثَــى وَهُــوَ مُــؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّــهُ حَيَــاةً طَيِّبَــةً وَلَنَجْــزِيَنَّهُمْ أَجْــرَهُم بِأَحْسَــنِ مَــا كَــانُواْ يَعْمَلُــون }**[٦٩])[٧٠] .

وعن معنى الحياة الطيبـــة يقـــول الإمـــام ابـــن القـــيم [٧١] فـــى كتابـــه مـــدارج السالكين: "ولقــد فســرت الحيــاة الطيبــة بالقناعــة والرضــا والــرزق الحســن والصواب أنهــا حيــاة القلــب ونعيمــه، وبهجتــه وســروره بالإيمــان ومعرفــة الله، ومحبته، والإنابة إليــه والتوكــل عليــه فإنــه لا حيــاة أطيــب مــن حيــاة صاحبها ولا نعيم فــوق نعيمــه إلا نعــيم الجنــة، كمــا كــان بعــض العــارفين يقول: إنه لتمر بي أوقــات أقــول فيهــا إن كــان أهــل الجنــة فــى مثــل هــذا

---

٦٦) سورة العنكبوت آية [٦٤] .

٦٧) سورة الفجر آية [٢٤] .

٦٨) سورة الأنفال آية [٢٤] .

٦٩) سورة النحل آية [٩٧] .

٧٠) فى رحاب آية الكرسي، أحمد بن محمد الشرقاوي. ص٣، سبق ذكره.

٧١) ابن القيم: هو شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أبـــى بكـــر بـــن أيـــوب بـــن ســـعد بـــن جرير الزرعى ثم الدمشقى ولد سنة ٦٩١هـ بدمشق وتوفى فيهـا سـنة ٧٥١هــ ألــف فــى الحديث وأصول الدين والفقه وأصوله والتصوف وغيرها من أنواع العلم .

إنهم لفى عيش طيب وقال غيره: إنه ليمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً وإذا كانت حياة القلب حياة طيبة تبعته حياة الجوارح فإنه ملكها، ولهذا جعل الله الحياة الضنك لمن أعرض عن ذكره وهى عكس الحياة الطيبة "[٧٢] .

(القيوم)

قال قتادة [٧٣]: "(القيوم) القائم بتدبير خلقه، وقال الحسن [٧٤]: "(القيوم) القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها بعملها من حيث هو عالم به لا يخفى عليه شئ منه "[٧٥] . وقال الإمام "(القيوم) يطلق لمجموع اعتبارين: أنه لا يفتقر فى قوامه إلى غيره، الثانى: أن غيره يفتقد فى قوامه فلا وجود ولا بقاء لغيره تعالى إلا به "[٧٦] .

---

[٧٢]) مدارالكين بين منازل (إياك نعبد وإياك نستعين)، تأليف: ابن عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربى، ٢٧٠/٣-٢٧١ .

[٧٣]) هو أبو الخطاب قتادة كان يسكن بالبصرة روى عن أنس وعكرمة وعطاء وغيرهم اشتهر بمعرفته لتفسير كتاب الله توفى سنة ١١٧هـ (وفيات الأعيان ٨٥/٤) .

[٧٤]) هو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصري ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، كان غزير العلم بكتاب الله وسنة رسوله وأحكام الحلال والحرام، توفى سنة ١١٧هـ (التفسير والمفسرون ١٤/١) .

[٧٥]) جامع البيان للطبرى ٣٨٨/٣، سبق ذكره .

[٧٦]) نفس المرجع السابق .

وقال صاحب المفردات: "(القيوم) أى القائم الحافظ لكل شئ والمعطى له ما به قوامه"[٧٧] .

ويقول صاحب الظلال: "أما صفة القيوم: فتعني قيامه سبحانه وتعالى على كل موجود؛ كما تعنى قيام كل موجود به؛ فلا قيام لشئ إلا مرتكزاً إلى وجوده وتدبيره وإرادته تعالى، ومن ثم يظل ضمير المسلم وحياته ووجوده ووجود كل شئ مرتبطاً بالله الواحد؛ الذى يصرف أمره وأمر كل شئ حوله؛ وفق حكمه وتدبيره؛ فيلتزم الإنسان بالمنهج المرسوم القائم على الحكمة والتدبير؛ ويستمد منه قيمه وموازينه ويراقبه وهو يستخدم هذه القيم والموازين"[٧٨] .

وحظ العبد من الاسم أيضاً أن يستغنى بالله عن كل ما سواه فالله تعالى هو القائم على كل نفس يكلؤها ويحفظها ويرزقها وأن يراقب الله فى كل عمل .

---

٧٧) المفردات فى غريب القرآن، تأليف: أبى القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلانى، ط (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان) ، ص٤١٧ .

٧٨) فى ظلال القرآن ٢٨٧/١، سبق ذكره .

المبحث الثالث: الله سبحانه وتعالى لا يعتريه نقص ولا غفلة .

قال ابن كثير رحمه الله [٧٩] : "(لا تأخذه سنة ولا نوم) أى: لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شئ، ولا يخفى عليه خافية . ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سنة ولا نوم "[٨٠] .

وفى الصحيح عن أبى موسى [٨١] رضي الله عنه قال: "قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات فقال: «إن الله لا ينام، ولا ينبغى له أن ينام، ولكنه يخفض القسط ويرفع ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» [٨٢] .

ويقول صاحب تفسير المنار: "والجملة – أى (لا تأخذه سنة ولا نوم) تأكيد لما قبلها – تأكيد لقوله (الحى القيوم) – مقررة لمعنى الحياة

---

[٧٩]) هو اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ولد فى مفتتح القرن الثامن الهجري وصفه ابن حجي تلميذه فقال: "كان احفظ من أدركناه لمتون الأحاديث، وأعرفهم برجالها، ويخرجها، وصحيحها، وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وكان فقيهاً جيد الفهم، ونظم الشعر، توفى سنة ٧٧٤هـ ، (التفسير والمفسرون ٢١٠/١) .

[٨٠]) تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبى الفداء، اسماعيل بن عمر بن كثير، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، دار بن حزم، بيروت – لبنان ، ١ / ٦٧٨ .

[٨١]) هو عبد الله بن قيس، مشهور باسمه وكنيته، قدم المدينة بعد فتح خيبر، كان حسن الصوت بالقرآن وهو الذى فقه أهل البصرة، وإقراءهم من قضاة الأمة الأربعة بعد موت النبى توفى سنة ٤٤هـ. (سير أعلام النبلاء ٤٠/٤) .

[٨٢]) الحديث رواه الإمام مسلم فى صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: ماجاء فى رؤية الله، حديث رقم ١٧٩ .

والقيومية على أكمل وجه، فإن من تأخذه السنة والنوم يكون ضعيف الحياة، وضعيف القيام بنفسه أو على غيره"[٨٣] . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وفى التحرير والتنوير يقول صاحبه: "ونفى استيلاء السنة والنوم على الله تعالى تحقيقاً لكمال الحياة، ودوام التدبير، وإثباتاً لكمال العلم، فإن السنة والنوم شبيهات بالموت، فحياة النائم فى حالهما حياة ضعيفة، وهما يعوقان عن التدبير وعن العلم بما يحصل فى وقت استيلائهما على الحس"[٨٤] .

"والسنة أصلها من الفعل وسن يسن، حذفت الفاء من المضارع ومن المصدر كما يقال: عدة – بكسر العين، والسنة: النعاس، والنعاس ما يتقدم النوم من الفتور وانطباق العين فإذا صار فى القلب صار نوماً"[٨٥] .

وأما النوم فقيل هو "حال يعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس راساً"[٨٦] ، وقيل هو: "فتور يعترى أعصاب الدماغ

---

[٨٣]) تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار، تأليف: محمد رشيد رضا، ط (دار المعرفة، بيروت – لبنان)، تاريخ (بدون)، ٣/ 30

[٨٤]) تفسير التحرير والتنوير، تأليف: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، تاريخ (بدون)، ٤٩٤/٢ .

[٨٥]) فى رحاب آية الكرسي، أحمد بن محمد الشرقاوي، سبق ذكره .

[٨٦]) تأملات فى آية الكرسي، تأليف: عبد الله بن على بن بصفر، دار نور المكتبات – جدة، تاريخ: ١٤٢٧هـ .

من تعب أعمال الأعصاب ومن تصاعد الأبخرة البدنية الناشئة عن الهضم والعمل العصبى فيشتد عند مغيب الشمس ومجيئ الظلمة، فيطلب الدماغ والجهاز العصبى الذى يدبره الدماغ استراحة طبيعية فيغيب الحس شيئاً فشيئاً وتثقل حركة الأعضاء، ثم يغيب الحس إلى أن تسترجع الأعصاب نشاطها فتكون اليقظة"(٨٧) . وقيل هو: "الغشية الثقيلة التى تهجم على القلب فتقطعه عن معرفة الأمور"(٨٨).

"وهذه الأقوال التى ذكرت مرجعها إلى ما ذكره الفلاسفة والأطباء، فهذا أبقراط يرى أن النوم ينشأ عن انسحاب الدم والدفء إلى المناطق الداخلية من الجسم، وهذا الفيلسوف اليونانى أرسطو يرجع السبب المباشر فى النوم إلى الطعام الذى نتناوله والذى يطلق أبخرة وأدخنة فى العروق ولقد أضاف الاسكندر الأفروديس إلى ما ذكره أرسطو: أن التعب الذى يحل بالجسم يؤدى إلى أن يجف الجسم ويفقد حرارته وبذلك ينتهى الأمر إلى النوم ويرى العالم الألمانى فلهلم بدابير: أن التعب يخلق مواد كيميائية فى جسم الإنسان من شأنها أن تمتص الأكسجين من الجسم الأمر الذى يتسبب فى حرمان المخ من الأكسجين اللازم له من أجل أداء أعماله ونشاطه.

---

(٨٧) التحرير والتنوير، لابن عاشور، سبق ذكره، ١٩/١ .

(٨٨) الوسيط فى تفسير القرآن المجيد، تأليف: أبى الحسن على بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: الشيخ. عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ. على محمد معوض، والدكتور. أحمد محمد حميدة، والدكتور. أحمد عبد الغنى الجمل، (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) ، ٣٦٤/١ .

هذا ورغم التقـدم العلمـى الهائـل والإمكانيـات العلميـة العظيمـة والمراكـز والمختبـرات العلميـة المنتشـرة فـى أرجـاء العـالم والأبحـاث والدراسـات والتجارب عن النوم رغـم هـذا كلـه فمـا زال سـراً غامضـاً علـى البشـرية وهـى فـى أوج تقـدمها وازدهارهـا العلمـى، وهـذه الدراسـات والأبحـاث لا تتعـدى كونهـا مجـرد تسـجيل لظـواهر وملاحظـات تحـدث قبـل الاسـتعداد للنـوم وأثنـاء النـوم وعنـد الاسـتيقاظ منـه، كمـا أن تلـك الدراسـات والبحـوث متعلقـة بمـا يتصـل بـالنوم مـن أمـور حسـية، أمـا الروح فلا علم لهم بهـا، ومـن هنـا فـإن النـوم إلـى الآن وحتـى يـرث الله الأرض ومن عليها سيظل سراً من أسرار الله تعالى فى هذا الوجود.

كمـا أن الـروح سـرمن الأسـرار التـى لا نعلمهـا ولا سـبيل لنـا إلـى معرفة حقيقتهـا، وصـدق المـولى إذ يقـول: **{وَيَسْـأَلُونَكَ عَـنِ الـرُّوحِ قُـلِ الـرُّوحُ مِـنْ أَمْـرِ رَبِّـي وَمَـا أُوتِيـتُم مِّـن الْعِلْـمِ إِلاَّ قَلِـيلا }**[٨٩] ، وقـال تعالى: **{ اللَّهُ يَتَـوَفَّى الأَنفُـسَ حِـينَ مَوْتِهَـا وَالَّتِـي لَـمْ تَمُـتْ فِـي مَنَامِهَـا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَـى عَلَيْهَـا الْمَـوْتَ وَيُرْسِـلُ الأُخْـرَى إِلَـى أَجَـلٍ مُسَـمًّى إِنَّ فِـي ذَلِـكَ لآيَـاتٍ لِّقَـوْمٍ يَتَفَكَّـرُون }**[٩٠] ، وقـال سـبحانه: **{ وَمِـنْ آيَاتِـهِ مَنَـامُكُم بِاللَّيْـلِ وَالنَّهَـارِ وَابْتِغَـاؤُكُم مِّـن فَضْـلِهِ إِنَّ فِـي ذَلِـكَ لآيَـاتٍ لِّقَـوْمٍ يَسْمَعُون }**[٩١] .

[٨٩]) سورة الإسراء آية [٨٥] .

[٩٠]) سورة الزمر [٤٢] .

[٩١]) سورة الروم [٢٣] .

فالنوم آية من آيــات الله تــدل علــى قدرتــه، ونعمــة مــن نعمــه تــدل علــى فضله ورحمتــه، وســر مــن أســراره فــى خليقتــه يــدل علــى ســعة علمــه وبالغ حكمته"[٩٢] .

---

[٩٢]) فى رحاب آية الكرسي، أحمد بن محمد الشرقاوي، ص٢٣، سبق ذكره .

المبحث الرابع: ملك الله سبحانه وتعالى المطلق .

تدل على الملكية الشاملة . كما أنها هى الملكية المطلقة، الملكية التى لا يرد عليها قيد ولا شرط ولا فوت ولا شركة. وهى مفهوم من مفاهيم الألوهية الواحدة. فالله الواحد هو الحى الواحد، القيوم الواحد، المالك الواحد. وهى نفى للشركة فى صورتها التى ترد على أذهان الناس ومداركهم. كما أنها ذات أثر فى إنشاء معنى الملكية وحقيقتها فى دنيا الناس. فإذا تمحضت الملكية الحقيقية لله، لم يكن للناس ملكية ابتداء لشئ. إنما كان لهم استخلاف من المالك الواحد الأصلى الذى يملك كل شئ. ومن ثم وجب أن يخضعوا فى خلافتهم لشروط المالك المستخلف فى هذه الملكية. وشروط المالك المستخلف قد بينها لهم فى شريعته، فليس لهم أن يخرجوا عنها؛ وإلا بطلت ملكيتهم الناشئة عن عهد الاستخلاف، ووقعت تصرفاتهم باطلة، ووجب رد هذه التصرفات من المؤمنين بالله فى الأرض. وحيث يقول الله فى القرآن الكريم: (له ما فى السماوات وما فى الأرض) .. فإنه لا يقرر مجرد حقيقة اعتقادية؛ إنما يضع قاعدة من قواعد الدستور للحياة البشرية ونوع الارتباطات التى تقوم فيها كذلك.

على أن مجرد استقرار هذه الحقيقة فى الضمير .. مجرد شعور الانسان بحقيقة المالك – سبحانه – لما فى السماوات وما فى الأرض .. مجرد تصور الإنسان لخلو يده هو من ملكية أى شئ مما يقال: إنه يملكه؛ ورد هذه الملكية لصاحبها الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض .. مجرد استحضار هذه الحقائق والمشاعر كفيل وحده

بـــأن يطـــأ مـــن حـــدة الشـــره والطمـــع، وحـــدة الشـــح والحـــرص، وحـــدة التكالـــب المســـعور. وكفيـــل كـــذلك بـــأن يســـكب فـــى الـــنفس القناعـــة والرضـــى بمـــا يحصـــل مـــن الـــرزق؛ والســـماحة والجـــود بـــالموجود؛ وأن يفيض عن القلـــب الطمأنينـــة والقـــرار فـــى الوجـــدان والحرمـــان ســـواء؛ فـــلا تذهب الـــنفس حســـرات علـــى فائـــت أو ضـــائع؛ ولا يتحـــرق القلـــب ســـعاراً على المرموق المطلوب (٩٣) .

وفى تفسير (لـــه مـــا فـــى الســـماوات ومـــا فـــى الأرض) يقـــول ابـــن جريـــر الطبـــري: "يعنـــى جـــل ثنـــاؤه أنـــه مالـــك الجميـــع بـــدون شـــريك ولا نديـــد وخـــالق جميعـــه دون آلهـــةٍ ومعبـــود، وإنمـــا يعنـــى بـــذلك أنـــه لا تنبغـــى العبادة لشـــئ ســـواه لأن المملـــوك إنمـــا هـــو طـــوع يـــد مالكـــه، ولـــيس لـــه خدمة غيره إلا بأمره"(٩٤) .

ويقول الحـــافظ ابـــن كثيـــر رحمـــه الله: "(لـــه مـــا فـــى الســـماوات ومـــا فـــى الأرض) إخبـــار بـــأن الجميـــع عبيـــده وملكـــه، وتحـــت قهـــره وســـلطانه؛ كقولـــه تعـــالى: (إن كـــل مـــن فـــى الســـماوات والأرض إلا آتـــى الـــرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدهم عداً) "(٩٥) .

---

٩٣) فى ظلال القرآن، سيد قطب، ٤٢٠/٣، سبق ذكره .

٩٤) تفسير الطبري، ٥٣٤/٤، سبق ذكره .

٩٥) تفسير ابن كثير ٦٤٢/٢، والآيات من سورة مريم [٩٣-٩٤] .

ويقول الصاوي [٩٦] في حاشيته: "ولا نزاع في كون السماوات والأرض ملكاً لله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) وفي ذلك رد على الكفار حيث زعموا أن له شريكاً فكأن الله يقول لهم: ما أشركتموه لا يخرج عن السماوات والأرض وشأن الشريك أن يكون مستقلاً خارجاً عن مملكة الشريك الآخر"[٩٧] .

وقال صاحب فتح البيان: " وقد أجرى الغالب مجرى الكل فعبر عنه بلفظ (ما) دون (من) وفيه رد على المشركين الذين عبدوا الكواكب التي في السماء والأصنام التي في الأرض فلا تصلح أن تعبد لأنها مملوكة مخلوقة له"[٩٨] .

وقد جاء ذكر السماوات والأرض في آيات وأدعية كثيرة، لأنها من أعظم خلق الله تبارك وتعالى، ومن أوائل ما خلق الله تبارك وتعالى.

---

٩٦) الصاوي: هو أحمد بن محمد الصاوي ولد سنة ١١٧٥هـ تلقى تعليمه في الأزهر الشريف، ومن أهم شيوخه أحمد بن محمد بن أبي حامد العدوي المالكي الشهير بالدردير، من مؤلفاته حاشيته على الجلالين وأقرب المسالك لمذهب الإمام مالك توفي سنة ١٢٢٧هـ .

٩٧) حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين، وهي حاشية العلامة الشيخ أحمد الصاوي المالكي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، تاريخ (بدون) ، ١٦٥/١ .

٩٨) فتح البيان في مقاصد القرآن، تأليف: ابي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم، دار إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر (١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م) ، ٩٣/٢ .

ومن هذه الآيات : قوله تعالى: **{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم }**[٩٩] ، وقوله تعالى: **{ أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ }**[١٠٠] كل شئ مسلم ومستسلم وخاضع لله تبارك وتعالى، إلا العبد الكافر العاصي.

وقوله تبارك تعالى: **{ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير }**[١٠١] هو خلقهما، وهو يملكها، وهو يرثها؛ إذاً ملكنا في هذه الأرض ملك مؤقت محدود بحياتنا، فإذا متنا انتقل إلى غيرنا، والملك الحقيقي لله تبارك وتعالى، وكل ما يملكه الإنسان إنما هو إكرام من الله تبارك وتعالى .

وقال جل وعلا: **{ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا }**[١٠٢] . كانت الأرض والسماء والكواكب كلها شيئاً واحداً كانت دخاناً كما قال القرآن، وهو ما أكتشفه علماء الفلك: أن هذه الكواكب كانت ذرات وغازات وأبخرة .

وقال تعالى: **{ إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ }**[١٠٣] هذا الكون العظيم خلقه الله فى ستة أيام، وهو قادر على أن يخلق الكون كله بقوله: (كن فيكون) ولكن ليعلم خلقه ويربيهم

---

[٩٩] سورة البقرة آية [٢٩] .
[١٠٠] سورة آل عمران آية [٨٣] .
[١٠١] سورة آل عمران آية [١٨٠] .
[١٠٢] سورة الأنبياء آية [30] .
[١٠٣] سورة الأعراف آية [54] .

على هـذه السـنة، أن يجتهـد الإنسـان فـى بنـاء شـئ، وفـى عمـل شـئ، وفى إتقان شئ، فلا بد له من وقت حتى ينجز هذا العمل "[١٠٤].

ومن الأدعيـة: عـن ابـن عبـاس رضـي الله عنهمـا أن النَّبِـيِّ صـلى الله عليه وسـلم كـان يقـول عنـد الكـرب: « لا إلـه إلا الله العظـيم الحلـيم، لا إلـه إلا الله رب السـماوات ورب الأرض ورب العـرش الكـريم »[١٠٥] .

وعـن عثمـان رضـي الله عنـه قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم : « ما من عبد يقول فـى صـباح كـل يـوم ومسـاء كـل ليلـة: باسـم الله الـذى لا يضـر مـع اسـمه شـئ فـى الأرض ولا فـى السـماء وهـو السميع العليم ثلاث مرات فلا يضره شئ»[١٠٦] .

---

١٠٤) تأملات فى آية الكرسي، عبد الله بن بصفر، ص٤١، سبق ذكره .

١٠٥) رواه البخاري فى صحيحه، كتاب الدعوات، بـاب: الـدعاء عنـد الكـرب، حـديث رقـم (٦٣٤٦) .

١٠٦) رواه أبو داود فى كتاب: الأدب، باب: ما يقول إذا اصبح، حديث رقم (٥٠٨٨) .

المبحث الخامس: الشفاعة

" لا شفاعة إلا بإذنه ورضاه فالأمر أمره والحكم حكم الله، والشفاعة هى طلب الخير للغير من الغير وأصلها من الشفع، والشفع كما ورد فى لسان العرب: خلاف الوتر وهو الزوج، تقول كان وتراً فشفعته شفعاً أى صيرته زوجاً، وشفع لى يشفع شفعاء – والشفاعة: كلام الشفيع للملك فى حاجة يسألها لغيره "[١٠٧] .

وقال صاحب المفردات: " والشفاعة من الشفع وهو ضم الشئ إلى مثله، والشفاعة والانضمام إلى آخر ناصر له وسائل عنه وأكثر ما يستعمل فى انضمام ما هو أعلى مرتبة وحرمة إلى ما هو أدنى ومنه الشفاعة فى القيامة "[١٠٨] .

والشفاعة قسمان:-

" الشفاعة فى الدنيا: وهى اتخاذ الوسائط عند أصحاب الجاه والسلطان فى قضاء الحوائج ورد الحقوق لأصحابها وهى جائزة ما دامت تلك الحاجة مشروعة . قال تعالى: **{مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا }**[١٠٩] .

وفى الحديث الصحيح عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاء السائل، أو طلب

---

(١٠٧) فى رحاب آية الكرسي، احمد بن محمد الشرقاوي، ص٨، سبق ذكره .

(١٠٨) المفردات للراغب، ص٢٦٣، سبق ذكره .

(١٠٩) سورة النساء آية [٨٥] .

إليه حاجة قال: « اشفعوا تؤجروا، ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء »[110] .

والشفاعة فى الآخرة وهى مختلفة اختلافاً كبيراً عن الشفاعة فى الدنيا كما سيتضح من أنواعها :

النوع الأول: الشفاعة العظمى أو العامة وهى مخصصة بالحبيب المصطفى .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة ثم قال: « أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مما ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين فى صعيد واحد، يسمعهم الداعى وينقذهم الصبر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لايطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم، فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وامر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح، إنك أنت

(110) رواه البخاري فى صحيحه، كتاب: الزكاة ، باب: التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، حديث رقم (١٣٦٥) .

أول الرسل إلى اهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنى قد كنت كذبت ثلاث كذبات، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنى قد قتلت نفس لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس فى المهد صبياً، اشفع لنا، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم . فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم ، فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟

فأنطلق فآتى تحت العرش، فأقع ساجداً لربى عز وجل، ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد من قبلى، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. ثم قال: والذى نفسى بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو: كما بين مكة وبصرى »(١١١) .

النوع الثانى: شفاعتة لنوع من العصاة من أمته قد استوجبوا دخول النار بذنوبهم فيشفع لهم فى الخروج منها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم . فيدخلون الجنة، ويسمون الجهنميين »(١١٢) .

النوع الثالث: شفاعته فى عمه أبى طالب أن يخفف عنه الله من العذاب يوم القيامة، وهذه خصوصية للرسول خصه الله تعالى بها وذلك لأن الأصل أن الكافر لا شفاعة له عن العباس بن عبد المطلب (١١٣) رضي الله عنه: أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ما

---

(١١١) الحديث رواه البخاري فى صحيحه ، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: {ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه}، حديث رقم (٣٣٤٠) .

(١١٢) رواه البخاري فى صحيحه عن عمران بن حصين، كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، حديث رقم (٦١٩١) .

(١١٣) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عم رسول الله، وكان أشد الناس نصرة له بعد وفاة أبى طالب، أسلم قبل فتح خيبر، وكان جواداً وصولاً للرحم وكان لا

أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: « هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار »(١١٤)
.

النوع الرابع: شفاعة الأنبياء والملائكة والعلماء قال تعالى: **{ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى }**(١١٥) .

وقال تعالى: **{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُون }**(١١٦) .

وقال تعالى: **{ لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا }**(١١٧) .

ولا يأذن تعالى لأحد أن يشفع إلا فيمن ارتضى، ولا يرتضي تعالى إلا توحيده واتباع رسله فمن لا يوصف بهذا فليس له في الشفاعة نصيب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب

يمر بعمر وعثمان وهما راكبان إلا نزلا إجلالاً له، توفي بالمدينة سنة ٣٢هـ . (سير أعلام النبلاء ٣/٣٨٩) .

(١١٤) الحديث رواه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب: قصة أبي طالب، حديث رقم (٣٦٧٠) .

(١١٥) سورة النجم آية [٢٦] .

(١١٦) سورة الأنبياء [٢٨] .

(١١٧) سورة مريم آية [٨٧] .

القبـــر، ويـــأمن مــن الفــزع الأكبــر، ويوضـــع علـــى راســـه تـــاج الوقـــار الياقوتة منها خير مــن الــدنيا ومـــا فيهـــا، ويتـــزوج اثنتـــين وســـبعين زوجـــة من الحور، ويشفع فى سبعين من أقاربه »[١١٨] .

وهناك الشفاعة المنفية وهى:

شفاعة الآلهـــة المزعومـــة التـــى عبـــدت مـــن دون الله تعـــالى: قـــال تعـــالى: **{ أَمِ اتَّخَـــذُوا مِـــن دُونِ اللَّـــهِ شُـــفَعَاء قُـــلْ أَوَلَـــوْ كَـــانُوا لاَ يَمْلِكُـــونَ شَـــيْئًا وَلاَ يَعْقِلُـــون * قُـــل لِّلَّـــهِ الشَّـــفَاعَةُ جَمِيعًـــا لَّـــهُ مُلْـــكُ السَّـــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُـــمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُون }**[١١٩] .

والشـــــــــفاعة للكفـــــــــــــــــــــــــــــــــــار: فـــــــلا شـــــــــــفاعة لكـــــافر فـــــى دخـــــــــول الجنـــــــــــة لأن الجنـــــــــــة محرمـــــــــــة علـــى الكافريـــــــــن قـــال تعـــالى: **{ فَمَـــا تَـــنفَعُهُمْ شَـــفَاعَةُ الشَّافِعِين }**[١٢٠] .

والشـــفاعة بـــدون إذن الله تعـــالى ورضـــاه: فـــلا شـــفاعة إلا بإذنـــه ورضـــاه قال تعـــالى: **{ وَكَـــم مِّـــن مَّلَـــكٍ فِـــي السَّـــمَاوَاتِ لاَ تُغْنِـــي شَـــفَاعَتُهُمْ شَـــيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى }**[١٢١] .

---

(١١٨) الحديث رواه الترمذي عن المقداد بن معد يكرب، كتـــاب: فضـــائل الجهـــاد، بـــاب: فـــى ثواب الشهيد، حديث رقم (١٦٦٦) .

(١١٩) سورة الزمر آية [٤٣-٤٤] .

(١٢٠) سورة المدثر آية [٤٨] .

(١٢١) سورة النجم آية [٢٦] .

وفى قوله تعالى {من ذا الــذى يشــفع عنــده غــلا بإذنـــه} يقــول ابــن كثيــر: " هذا من عظمته وجلالــه وكبريائـــه عــز وجــل، أنـــه لا يتجاســر أحــد علـــى أن يشفع عنده إلا بإذنه له فى الشفاعة "(١٢٢) .

وفى تفسير المنـــار يقــول صـــاحبه: فـــى قولـــه تعـــالى مـــن ذا الـــذى يشـــفع عنده غـــلا بإذنـــه} : " بيـــان انفـــراده تعـــالى بالســـلطان، وعـــدم جـــراءة أحـــد من عبيده من الشـــفاعة أو الـــتكلم بـــدون إذنـــه، وإذنـــه غيـــر معـــروف لأحـــد من خلقه "(١٢٣) .

وقال الامـــام القرطبـــي: " تقريـــر مـــن هـــذه الآيـــة أن الله يـــأذن لمـــن يشـــاء فـــى الشـــفاعة، وهـــم الأنبيـــاء والعلمـــاء والمجاهـــد ون والملائكـــة وغيـــرهم ممـــن أكـــرمهم الله تبـــارك وتعـــالى وشـــرفهم، ثـــم لا يشـــفعون إلا لمـــن ارتضى "(١٢٤) .

---

(١٢٢) تفسير ابن كثير ٦٢٤/٢ ، سبق ذكره .

(١٢٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٣١/٣ . سبق ذكره .

(١٢٤) الجامع لأحكام القرآن ، تأليف: أبى عبـــد الله محمـــد بـــن أحمـــد الأنصـــاري القرطبـــي، تحقيـــق: ســـالم مصـــطفى البـــدري، (دار الكتـــب العلميـــة ، بيـــروت – لبنـــان)، تـــاريخ (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) ، ١٧٨/٣ .

المبحث السادس: علم الله سبحانه وتعالى

هـذه الآيـة تتضـمن صـفة مـن صـفات الله تبـارك وتعـالى، وهـى صـفة العلم، " فالله تعالى عليم بكـل شـئ لـم يسـبق علمـه جهـل، ولا يعـدو عليـه نسيان، ولا يمكـن أن يخـالف الواقـع، وعلمـه محـيط بمـا كـان، ومـا هـو كـائن الآن ، وبمـا سـيكون ؛ فيسـتوي الماضـى والحاضـر والمسـتقبل فـى علـم الله . وعلـم الله محـيط بالظـاهر والبـاطن، بالسـماء والأرض، والدنيا والآخرة .

إن الله خـالق كـل شـئ، والـذى يخلـق المخلوقـات كلهـا علـيم بأسـرارها وخفاياهـا وهـذا مـن البـراهين القاطعـة التـى أشـار إليهـا القـرآن بقولـه تعالى: **{وَأَسِـرُّوا قَـوْلَكُمْ أَوِ اجْهَـرُوا بِـهِ إِنَّـهُ عَلِـيمٌ بِـذَاتِ الصُّـدُور * أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير }**(١٢٥) .

كما أنه سبحانه يعلـم دقـائق هـذا الكـون وخفايـاه: **{وَعِنـدَهُ مَفَـاتِحُ الْغَيْـبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَـمُ مَـا فِـي الْبَـرِّ وَالْبَحْـرِ وَمَـا تَسْـقُطُ مِـن وَرَقَـةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَـا وَلاَ حَبَّـةٍ فِـي ظُلُمَـاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْـبٍ وَلاَ يَـابِسٍ إِلاَّ فِـي كِتَـابٍ مُّبِين}**(١٢٦) .

فالعلم الإلهي يهـيمن علـى أطـوار الموجـودات هيمنـة كاملـة، يحـيط بعـدد صحارى الأرض مـن رمـال، وعـدد مـا فـى بحـار الـدنيا مـن قطـرات، وعدد ما فى الأشجار مـن ورقـات، وعـدد مـا فـى الأغصـان مـن ثمـار،

---

(١٢٥) سورة الملك آية [١٣-١٤] .

(١٢٦) سورة الانعام آية [٥٩] .

وما فى السنابل من حبوب، وما فى رؤس البشر وجلودهم من شعر، إنه العالم الشامل المحيط بكل شئ .

وقد قال فى كتابه: **{ اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ * سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ }**(١٢٧) "(١٢٨) .

وفى قوله تعالى {يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم} يقول ابن كثير: " دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، كقوله تبارك تعالى إخباراً عن الملائكة: **{ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا }**(١٢٩) "(١٣٠) .

وفى روح المعاني يقول صاحبه: " وقيل فى تفسير هذه الآية: أى: ما يدركونه وما لا يدركونه، أو ما يحسونه ويعقلونه "(١٣١) .

---

(١٢٧) سورة الرعد آية [٨-١٠] .

(١٢٨) كتاب الأسماء والصفات، تأليف: أبى بكر أحمد بن الحسن البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، ط (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان)، تاريخ (بدون)، ٤٥٩/٢ .

(١٢٩) سورة مريم آية [٦٤] .

(١٣٠) تفسير ابن كثير ، ٦٢٥/٢ ، سبق ذكره .

(١٣١) روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: أبى الفضل شهاب الدين السر محمد الآلوسي البغدادي، تحقيق: محمد شكر الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربى (بيروت – لبنان) ، تاريخ (بدون) ، ١٠/٢ .

وقيل: " {ما بين أيديهم} ما قبل خلقهم {وما خلفهم} ما بعد موتهم، وقيل: {ما بين أيديهم} يعني الآخرة لأنهم يقدمون عليها، {وما خلفهم} الدنيا لأنهم يخلفونها وراء ظهورهم "[١٣٢] .

وقيل: " {ما بين أيديهم} ما فعلوه من خير وشر {وما خلفهم} ما يفعلونه بعد ذلك، وقيل: {ما بين أيديهم} ما قدموا من أعمال، {وما خلفهم} ما أضاعوا من أعمالهم، وقيل المراد {يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم } ماهو ملاحظ لهم من المعلومات وما خفي عنهم أو ذهلوا عنه منها، وقيل: " {ما بين أيديهم} المحسوسات المشاهدة، {وما خلفهم} المعقولات الغيبية . وكل هذه الأقوال محتملة "[١٣٣] .

([١٣٢]) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، الناشر: دار الكتب العلمية – طهران، تاريخ (بدون)، ١٠/٧ .

([١٣٣]) فتح القدير للشوكاني، ٢٧٣/١، سبق ذكره .

المبحث السابع: الله سبحانه وتعالى العليم

" يقال لكل من أحرز شيئاً، أو بلغ علمه أقصاه قد أحاط بـــه "(١٣٤) .

قال الطبري: " وأمـــا قولـــه تعـــالى: {ولا يحيطـــون بشـــئ مـــن علمـــه إلا بمـــا شاء} فإنـــه يعنـــي تعـــالى ذكـــره: أنـــه العـــالم الـــذى لا يخفـــى عليـــه شـــئ، محيط بذلك كلـــه، محـــصٍ لـــه دون ســـائر مـــن دونـــه، وأنـــه لا يعلـــم أحـــد سواه شيئاً إلا بما شاء هو أن يعلمه "(١٣٥) .

" فالعلم الذى لـــدى النـــاس هـــو علـــم أَذِن الله لنـــا أن نتعلمـــه، وشـــاء لنـــا أن نعلمه، ويسر لنا ســـبحانه وتعـــالى بعـــد إذنـــه وعلمـــه أن نتعلمـــه، وهـــو علـــم قليل فـــى علـــم الله تبـــارك وتعـــالى؛ **{ وَيَسْـــأَلُونَكَ عَـــنِ الـــرُّوحِ قُـــلِ الـــرُّوحُ مِـــنْ أَمْـــرِ رَبِّـــي وَمَـــا أُوتِيـــتُم مِّـــن الْعِلْـــمِ إِلاَّ قَلِـــيلا }**(١٣٦) ، فقـــد ينـــدهش الإنسان بمـــا يـــراه مـــن العلـــوم الحديثـــة، فـــى الإتصـــالات، وفـــى الطيـــران، وفـــى الفضـــاء، وفـــى الطـــب، ولكـــن كـــل هـــذا العلـــم الـــذى ينـــدهش بـــه الإنسان؛ يدخل فـــى العلـــم القليـــل الـــذى هـــو مـــن علـــم الله تبـــارك وتعـــالى "(١٣٧) .

وقال الطبـــري أيضـــاً: " إنمـــا يعنـــي بـــذلك أن العبـــادة لا تنبغـــى لمـــن كـــان بالأشياء جاهلاً، فكيف يعبـــد مـــن لا يعقـــل شـــيئاً البتـــة مـــن وثـــن وصـــنم؟!

---

(١٣٤) التفسير الكبير للرازي ١١/١ .سبق ذكره .

(١٣٥) تفسير الطبري ٥٣٦/٤ ، سبق ذكره .

(١٣٦) سورة الإسراء آية [٨٥] .

(١٣٧) تأملات فى آية الكرسي، عبدالله بصفر، ص٦، سبق ذكره .

فأخلصوا العبادة لمن هو محيط بالأشياء كلها، يعلمها، لا يخفى عليه صغيرها و كبيرها "[١٣٨] .

" وقد ورد اسم العليم في القرآن الكريم في (١٥٠) موضعاً، وهنالك من أسماء الله تعالى ما يتعلق بهذا الاسم؛ بصفة العلم واسم العليم.

ومن هذه الأسماء اللطيف، ومعنى اللطيف: أى أنه يعلم خفيات الأمور ودقائقها، قال تعالى: **{ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرِ }**[١٣٩] .

والشهيد أيضاً من العلم، أى: العليم بالأشياء عن شهود وحضور قال تعالى: **{ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا }**[١٤٠] ، والمحصي كذلك من الأسماء التي لها صلة بالعلم؛ وهو المحيط بكل موجود جملة وتفصيلاً، قال تعالى: **{وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِين}**[١٤١] .

ومنها السميع: أى: الكاشف لكل موجود بسمعه، والبصير: الكاشف لكل موجود ببصره، قال تعالى: **{ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير }**[١٤٢] .

والمؤمن: وهو البالغ منتهى العلم اليقيني في كل شئ، فلا شك في شئ من مخلوقاته سبحانه وتعالى، ولا يظن الشك فيها .

---

(١٣٨) تفسير الطبري ٥٣٦/٤، سبق ذكره .

(١٣٩) سورة الملك آية [١٤] .

(١٤٠) سورة النساء آية [٣٣] .

(١٤١)سورة يس آية [١٢] .

(١٤٢)سورة الإسراء آية [١] .

وفى الحديث الصحيح عن أبى بن كعب [١٤٣] أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « قام موسى عليه السلام خطيباً فى بنى إسرائيل فسئل؛ أى الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم. فعتب الله تبارك وتعالى عليه لأنه لم يرد العلم إليه، فقال له: (بلى لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك) وهو الخضر الذى جاء فى سورة الكهف، ثم ذكر قصة الخضر مع موسى عليهما السلام حتى جاء فيها وموسى مع الخضر فى السفينة أن عصفوراً وقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة أو نقرتين، فقال الخضر عليه السلام: يا موسى ما نقص علمى وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر »[١٤٤] .

كان هذا المثل العظيم ليفهم الإنسان ويعلم قدر علم الله تبارك وتعالى بالقياس إلى علم البشر والناس جميعاً، مهما بلغوا من التقدم والعلوم، فكلها علوم بسيطة ويسيرة.

---

(١٤٣) هو أبو المنذر، أو أبو الطفيل، أبى بن كعب بن قيس، الأنصاري الخزرجي شهد العقبة وبدراً، وهو أول من كتب لرسول الله، وقد أثنى عليه عمر فقال: " أبى سيد المسلمين " وقد اختلف فى وفاته، والأغلب أنه مات فى خلافة عمر بن الخطاب (التفسير والمفسرون ٨٢/١) .

(١٤٤) رواه البخاري كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسى، حديث (٦٣٨٢) .

وفـــى حـــديث جـــابر بـــن عبـــد الله [١٤٥] رضـــي الله عنهمـــا قـــال: كـــان رســـول الله صـــلى الله عليـــه وســـلم يعلمنـــا الإســـتخاره كمايعلمنـــا الســـورة من القـــرآن، يقـــول: « إذا هـــم أحـــدكم بـــالأمر فليركـــع ركعتـــين مـــن غيـــر الفريضـــة، ثـــم ليقـــل: اللهـــم إنـــى أســـتخيرك بعلمـــك، وأســـتقدرك بقـــدرتك، وأســـألك مـــن فضـــلك العظـــيم، فإنـــك تقـــدر ولا أقـــدر، وتعلـــم ولا أعلـــم، وأنت علام الغيـــوب، اللهـــم إن كنـــت تعلـــم أن هـــذا الأمـــر خيـــر لـــى فـــى دينـــي ومعاشـــي، وعاقبـــة أمـــري، أو قـــال: عاجـــل أمـــري وآجلـــه، فاقـــدره لي، ويسره لي، ثـــم بـــارك لـــي فيـــه، وإن كنـــت تعلـــم أن هـــذا الأمـــر شـــرٌ لـــي فـــى دينـــي ودنيـــاي، وعاقبـــة أمـــري، أو قـــال عاجـــل أمـــري وآجلـــه، فاصرفه عني واصرفني عنـــه واقـــدر لـــى الخيـــر حيـــث كـــان، ثـــم رضـــنى به »[١٤٦] .

وفى هـــذا الحـــديث يعلمنـــا النبـــى صـــلى الله عليـــه وســـلم أن نلجـــأ إلـــى الله تبارك وتعالى، وإلـــى علـــم الله المحـــيط بمـــا كـــان ومـــا ســـيكون، وبمـــا هـــو كـــائن إلـــى يـــوم القيامـــة؛ وأن نلجـــأ إليـــه فـــى كـــل صـــغيرة وكبيـــرة، وأن نلجأ إلى علمه تبارك وتعالى.

---

(١٤٥) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام بـــن ثعلبـــة بـــن حـــرام بـــن كعـــب، الأنصـــاري الخزرجي، كان ممن شهد العقبة ومـــن أهـــل بيعـــة الرضـــوان غـــزا مـــع رســـول الله تســـع عشرة غزوة، كان مفتى المدينة فى زمانه، شـــاخ جـــابر وذهـــب بصـــره وقـــارب التســـعين، وقيل انه أخر من مات بالمدينة من الصحابة، ومختلف فى وفاتـــه. (أســـد الغابـــة فـــى معرفـــة الصحابة ٤٩٢/١) .

(١٤٦) رواه البخاري فـــى كتـــاب الـــدعوات بـــاب: الـــدعاء عنـــد الاســـتخارة حـــديث رقـــم (٦٣٨٢) .

وفـــى هـــذا تربيـــة عظيمـــة للمســـلم، فعنـــدما تســـتخير تستشـــعر علمـــك الصـــغير، وتتأكـــد وتعتـــرف بـــأن علمـــك لا شـــئ مـــع علـــم الله تبـــارك وتعالى، فإن فعلـــت ذلـــك علّمـــك الله مـــن علمـــه، ونـــور بصـــيرتك، وهـــداك إلـــى فعـــل الصـــواب، وجنبـــك وأبعـــدك عمـــا هـــو شـــر وضـــلال وفســـاد وخسارة فى الدنيا والآخرة)[١٤٧] .

---

(١٤٧) تأملات فى آية الكرسي، د. عبد الله بصفر، ص٦٥، سبق ذكره .

المبحث الثامن: الكرسى واختلاف العلماء فيه

(يقال: وســع فــلان الشــئ يســعه ســعة إذا أمكنــه وأطاقــه وأمكنــه القيــام بــه. ولا يســعك هــذا، أى لا تطيقــه ولا تحتملــه. وأمــا الكرســي فأصــله فى اللغة من تركــب الشــئ بعضــه علــى بعــض، والكــرس أبــوال الــدواب وأبعارهــا يتلبــد بعضــها فــوق بعــض، وتكــارس الشــئ إذا تركــب؛ ومنــه الكراسة لتركب بعــض أوراقهــا علــى بعــض (والكرســي) هــو هــذا الشــئ المعروف لتركب خشباته بعضها فوق بعض.

وقد ورد لفظ الكرسي فــى الآيــة وجــاء فــى الأخبــار الصــحيحة أنــه جســم بــين يــدي العــرش أعظــم مــن الســماوات الســبع والأرضــين ودون العرش.

وقد اختلف المفسرون فى تفسير الكرسي على أربعة أقوال:

(القــول الأول): أنــه جســم عظــيم يســع الســماوات والأرض، ثــم اختلفــوا فيه فقال الحســن (الكرســي) هــو نفــس العــرش، لأن الســرير قــد يوصــف بأنه عرش، وبأنه كرســي، لكــون كــل واحــد منهمــا بحيــث يصــح الــتمكن عليه، وقال بعضــهم: بــل الكرســي غيــر العــرش، ثــم اختلفــوا فمــنهم مــن قال: إنــه دون العــرش وفــوق الســماء الســابعة، وقــال آخــرون إنــه تحــت الأرض وهو منقول عن السدي.

(القول الثــانى): أن المــراد مــن (الكرســي) الســلطان والقــدرة والملــك، ثــم تــارة يقــال: الإلهيــة لا تحصــل إلا بالقــدرة والخلــق والإيجــاد، والعــرب

يسمون أصل كل شئ (الكرسي) وتارة يسمى الملك بالكرسي، لأن الملك يجلس على الكرسي، فيسمى المَلك باسم مكان المُلك.

(القول الثالث): أن (الكرسي) هو العلم، لأن العلم موضع العالم. وهو الكرسي فسميت صفة الشئ باسم مكان ذلك الشئ على سبيل المجاز لأن العلم هو الأمر المعتمد عليه، والكرسي هو الشئ الذى يعتمد عليه، ومنه يقال للعلماء: كراسي، لأنهم الذين يعتمد عليهم كما يقال لهم: أوتاد الأرض.

*(القول الرابع):*ما اختاره القفال، وهو أن المقصود من هذا الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه، وتقريره أنه تعالى خاطب الخلق فى تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه فى ملوكهم وعظمائهم من ذلك أنه جعل الكعبة بيتاً له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وأمر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر فى الحجر الأسود أنه يمين الله فى أرضه ثم جعله موضعاً للتقبيل كما يقبل الناس أيدي ملوكهم، وكذلك ما ذكر فى محاسبة العباد فى يوم القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين، فعلى هذا القياس أثبت لنفسه عرشاً، فقال {الرحمن على العرش استوى} ثم وصف عرشه فقال {وكان عرشه على الماء} ثم قال {وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم}. وقال {ويحمل عرش

ربك فوقهم يومئذ ثمانية} وقال {والذين يحملون العرش ومن حوله} ثم أثبت لنفسه كرسياً فقال {وسع كرسيه السماوات والأرض}[١٤٨] .

والراجح فى تفسير الكرسي القول الذى ذكر فى بداية هذا المبحث وهو أنه جسم عظيم فوق السماوات ودون العرش لما ورد فى الأحاديث الصحيحة التى دلت على ذلك واختار هذا الرأى جمع من أعلام المفسرين كابن كثير والرازي والآلوسي والشوكاني والبروسوي وابن عطية وغيرهم .قال ابن كثير: " والصحيح أن الكرسى غير العرش والعرش أكبر منه كما دلت على ذلك الآثار والأخبار "[١٤٩] .

وقال الإمام الرازي [١٥٠]: " انه جسم عظيم تحت العرش وفوق السماء السابعة "[١٥١] .

---

(١٤٨) التفسير الكبير للرازى للإمام الفخر الرازي . (الناشر: دار الكتب العلمية – طهران)، تاريخ (بدون)، ١٢٠/٧ .

(١٤٩) تفسير ابن كثير، ٣١٠/١، سبق ذكره .

(١٥٠) هو أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على، التيمي، البكري، الرازي، الملقب بفخر الدين، والمعروف بابن الخطيب الشافعي، المولود سنة ٥٤٤هـ. كان إماماً فى التفسير والكلام، والعلوم العقلية، وعلوم اللغة، وقد أخذ العلم عن والده ضياء الدين المعروف بخطيب الرى، توفى الرازى سنة ٦٠٦هـ بالرى. ويقال أن سبب وفاته: أنه كان بينه وبين الكرامية خلاف وجدل فى أمور العقيدة، فكان ينال منهم وينالون منه سباً وتكفيراً وأخيراً سموه فمات واستراحوا منه. (التفسير والمفسرون ٤٨/١).

(١٥١) التفسير الكبير للرازي ١٢/٧ سبق ذكره .

وقال الآلوسي [١٥٢]: " ان المراد بالكرسي جسم بين يدى العرش محيط بالسماوات السبع "[١٥٣] .

وقال الشوكاني [١٥٤]: " {وسع كرسيه} الكرسي: الظاهر أنه الجسم الذى وردت الآثار بصفته وقد نفى وجوده جماعة من المعتزلة وأخطؤا فى ذلك خطأً بيناً وغلطوا غلطاً فاحشاً "[١٥٥]

وقال ابن عطية [١٥٦] : " والذى تقتضيه الأحاديث أن الكرسى مخلوق عظيم بين يدى العرش، والعرش أكبر منه "[١٥٧] .

---

(١٥٢) هو أبو الثناء، شهاب الدين، السيد محمود أفندي الا لوسي البغدادي ولد سنة ١٢١٧هـ فى جانب الكرخ من بغداد. كان شيخ العلماء فى العراق. جمع كثيراً من العلوم حتى اصبح علامة فى المنقول والمعقول فهامة فى الفروع والأصول، ومفسراً لكتاب الله، اخذ العلم من فحول العلماء. منهم والده، توفى سنة ١٢٧٠هـ. (التفسير والمفسرون ٣٠٢/١) .

(١٥٣) روح المعانى للآلوسي ١٥/٣، ١٦ سبق ذكره .

(١٥٤) هو محمد بن على بن عبد الله الشوكاني ولد سنة ١١٧٣هـ، فى بلدة هجرة شوكان. نشأ بصنعاء، وأخذ فى طلب العلم والسماع من العلماء الأعلام، واشتغل كثيراً بمطالعة كتب التاريخ ومجامع الأدب، وسار على هذه الطريقة ما بين مطالعة وحفظ، وما بين سماع وتلق، إلى أن صار إماماً يعول عليه، وقدوة لغيره، ومفسراً للقرآن لا يبارى، ومحدثاً لا يشق عليه غبار، ومجتهداً لا يثبت أحد معه فى مضمار ولقد خلف كتب فى العلم نافعة وكثيرة، أهمها: كتاب فتح القدير فى التفسير وقد توفى الشوكانى سنة ١٢٥٠هـ .

(١٥٥) فتح القدير للشوكاني ٢٧٢/١ سبق ذكره .

(١٥٦) هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي الحافظ القاضي. ولى القضاء بمدينة المرية بالأندلس، ولما تولى توخى الحق وعدل فى الحكم ويقال: أنه قصد مرسية بالمغرب ليتولى قضاءها، فصد عن دخولها، وصرف منها إلى

وقـــال صـــاحب روح البيـــان: " والمعتمـــد أن الكرســـي جســـم بـــين يـــدي العرش محيط بالسماوات السبع "[(١٥٨)] .

المبحث التاسع: كمال قدرة الله سبحانه وتعالى

قوله تبـارك تعـالى: {ولا يـؤده حفظهمـا} يعـود الضـمير علـى السـماوات والأرض الواردة قبلها مباشرة: {وسع كرسيه السماوات والأرض} .

قال الطبرى: " {ولا يؤده} أى: لا يشق عليه ولا يثقله "[(١٥٩)] .

" فبعد أن بين عظـم وسـعة ملكـه، بـين أن ذلـك لا يثقلـه ولا يشـق عليـه أن يحفظـه، وأن يعلمـه وأن يتصـرف فيـه كمـا يشـاء قـال بـن عبـاس رضـي الله عنهمـا وقتـاده والحسـن وغيـرهم: يعنـى لا يثقـل عليـه، ولا يجهده حفظهما، فهو ميسور سهل عليه "[(١٦٠)] .

وقـــال بـــن كثيـــر: " {ولا يـــؤده حفظهمـــا} أى: لا يثقلـــه حفـــظ الســـماوات والأرض ومـــن فيهمـــا، ومـــن بينهمـــا، بـــل كـــل ذلـــك ســـهل عليـــه، يســـير لديـــه، وهـــو القـــائم علـــى كـــل نفـــس بمـــا كســـبت، الرقيـــب علـــى جميـــع

الرقة بالمغرب، كان مولده سـنة ٤٨١هـ وتـوفى سـنة ٥٤٦هـ. (التفسـير والمفسـرون ٢٠٦/١) .

(١٥٧) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز تأليف: أبو محمد عبـد الحـق بـن غالـب بـن عطية، تحقيق: الرحالىّ الفاروق عبد الله بن إبراهيم الأنصـاري – السـيد عبـد العـال السـيد إبراهيم – محمد الشافعى صادق العنابى، طبع على نفقـة الشـيخ: خليفـة بـن حمـد آل ثـانى امير دولة قطر – الدوحة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٧م، ٣٤٢/١ .

(١٥٨) تفسير روح البيان للإمـام الشـيخ: إسـماعيل حقـى البروسـوي، دار الفكـر للطباعـة والنشر والتوزيع، ٤٠٤/١ .

(١٥٩) تفسير الطبري ٥٤٢/٤ سبق ذكره .

(١٦٠) تأملات فى آية الكرسي، د. عبد الله بصفر، ص٧٣، سبق ذكره .

الأشـياء، فـلا يعـزب عنـه شـئ، ولا يغيـب عنـه شـئ، والأشـياء كلهـا حقيـرة بـين يديـه، متواضـعة ذليلـة صـغيرة بالنسـبة إليـه سـبحانه وتعالى"[١٦١] .

وقـال صـاحب روح البيـان: " لا يثقلـه ولا يشـق عليـه حفـظ السـماوات والأرض، إذ القريـب والبعيـد عنـده سـواء والقليـل والكثيـر سـواء، وكيف يتعب فى خلق الذرة وكـل الكـون عنـده سـواء فـلا مـن القليـل لـه تيسر ولا من الكثيـر عليـه تعسـر {إنمـا أمـره إذا أراد شـيئاً أن يقـول لـه كن فيكون} "[١٦٢] .

وقد جاء فى الحفظ آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: **{ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيم }**[١٦٣] .

وقوله تعـالى: **{فَاللّـهُ خَيْـرٌ حَافِظًـا وَهُـوَ أَرْحَـمُ الـرَّاحِمِين }**[١٦٤] ، وقولـه أيضاً: **{ إِنَّا نَحْـنُ نَزَّلْنَـا الـذِّكْرَ وَإِنَّـا لَـهُ لَحَـافِظُون }**[١٦٥] ، وقولـه تعـالى: **{ إِنَّ رَبِّـي عَلَـىَ كُـلِّ شَـيْءٍ حَفِـيظ }**[١٦٦] ، وقولـه: **{وَهُـوَ الْقَـاهِرُ فَـوْقَ**

---

(١٦١) تفسير بن كثير ٦٢٦/٢ سبق ذكره .

(١٦٢) روح البيان للبروسوي، ٤٠٥/١، سبق ذكره .

(١٦٣) سورة الحجر آية [١٧] .

(١٦٤) سورة يوسف آية [٦٤] .

(١٦٥) سورة الحجر آية [٩] .

(١٦٦) سورة هود آية [٥٧] .

عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً }(١٦٧) ، قوله: { لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ }(١٦٨) .

وجاء في الحديث الصحيح عن بن عباس رضي الله عنهما قال: " كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، فقال: « يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف »(١٦٩) .

ومعنى قوله (احفظ الله يحفظك) أى: احفظ حدوده، وحقوقه، وأوامره، ونواهيه؛ وحفظ ذلك: هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به.

وحفظ الله تبارك وتعالى لعبده يدخل فيه نوعان:

الأول: حفظه تبارك وتعالى فى مصالح دنياه؛ كحفظه فى بدنه وماله وولده وأهله، هذا حفظ دنيوى. قال تعالى: **{ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ }**(١٧٠) . قال بن عباس فى معنى

---

(١٦٧) سورة الأنعام آية [٦١] .

(١٦٨) سورة الرعد آية [١١] .

(١٦٩) الحديث رواه الترمذي فى كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع باب: (٥٩) حديث رقم(٢٥١٦).

(١٧٠) سورة الرعد آية [١١] .

هذه الآ ية: " هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدره خلوا عنه " .

النوع الثانى: وهو أشرف النوعين: حفظ الله للعبد فى دينه وإيمانه، فيحفظه فى حياته من الشبهات المظلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان.

قال بعض السلف: " إذا حضر الرجل الموت يقال للمَلَك: شم رأسه؟ قال: أجد فى رأسه القرآن، فيقول: شم قلبه؟ قال: أجد فى قلبه الصيام، قال: شم قدميه؟ قال: أجد فى قدميه القيام. فيقول: حفظ نفسه فحفظه الله "[١٧١] .

---

(١٧١) نقلاً من تأملات فى آية الكرسي، د. عبد الله بصفر، ص٧٧-٧٩، سبق ذكره .

المبحث العاشر: الله سبحانه وتعالى العلى العظيم

" (العلى): اشتقاقه من العلو. والعلو لغة: هو الإرتفاع والعلو من صفات الذات لله تعالى، والعلى من أسماء الله الحسنى. فهو تقدس اسمه العلى الأعلى . عليٌّ بذاته على جميع مخلوقاته .

هو تعالى فى أعلى العلو. مستوٍ على عرشه بائن من خلقه. وهو مع خلقه بعلمه "(١٧٢) .

" العلى بقهره حيث قهر كل شئ ودانت له الكائنات بأسرها، فجميع الخلق نواصيهم بيده فلا يتحرك منهم متحرك، ولا يسكن ساكن إلا بإذنه، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن "(١٧٣) .

" (العلى): بالاقتدار ونفوذ السلطان، والعلى عن الأشباه والأضداد "(١٧٤) .

" (العلى): الذى يعلو أن يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين "(١٧٥) .

" فهو سبحانه وتعالى العلى فى ذاته وفى صفاته وكل ما ورد فى القرآن والسنة النبوية فى بيان علوه جل شأنه : فإننا نؤمن به ونقر به كما جاء بدون

---

(١٧٢) عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين للبليهي ٤١٢/٢، سبق ذكره .

(١٧٣) فتح الرحيم الملك العليم، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، دار بن الجوزي – السعودية، (الطبعة الأولى ١٤٢١هـ)، ص٣٧ .

(١٧٤) النكت والعيون (تفسير الماوردى)، تأليف: أبى الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، (مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – لبنان)، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ - ١٩٩٢م)، ٦١/١ .

(١٧٥) المفردات للراغب، ص٣٤٥، سبق ذكره .

تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف فالله كما أخبر عن نفسه {ليس كمثله شئ وهو السميع البصير} "[(١٧٦)] .

قال بن كثير: " فقوله وهو العلى العظيم كقوله تعالى {الكبير المتعال} وهذه الآيات وما فى معناها من الأحاديث الصحاح الأجود فيها طريقة السلف الصالح، أمروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه "[(١٧٧)] .

" (العظيم): ومعانى العظمة نوعان:

الأول: يرجع إلى صفاته وأن له جميع معاني العظمة والجلال، كالقوة والعزة، وكمال القدرة، وسعة العلم وكمال المجد وغيرها من أوصاف العظمة. ومن عظمته أن السماوات والأرض جميعها كخردلة فى كف الرحمن كما قال ذلك بن عباس، وقال تعالى: **{ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ }**[(١٧٨)] . فله تعالى العظمة الوصف الذى لا يقدر قدره.

الثانى: أنه لا يستحق أحد التعظيم والتكبير والإجلال والتمجيد غيره، فيستحق على العباد أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم، وذلك ببذل الجهد فى معرفته ومحبته، والذل له والخوف منه وإعمال اللسان بذكره والثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته "[(١٧٩)] .

---

(١٧٦) فى رحاب آية الكرسي للشرقاوي ص١٣ والآية من سورة الشورى رقم (١١) ، سبق ذكره .

(١٧٧) تفسير بن كثير، ٣١٠/١، سبق ذكره .

(١٧٨) سورة الزمر آية [٦٧] .

(١٧٩) فتح الرحيم الملك العلوم ، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ص٣٨، سبق ذكره .

" (العظيم): العظمة صفة من صفات الله، لا يقوم لهـا خلـق، والله تعـالى خلـق بين الخلق عظمة يعظم بها بعضهم بعضاً، فمن الناس مـن يعظـم لمـال، ومـنهم من يعظم لفضل، ومنهم من يعظم لعلم، ومنهم من يعظـم لسـلطان، ومـنهم مـن يعظم لجاه، وكل واحد من الخلق إنما يعظم لمعنى دون معنـى، والله عـز وجـل يعظم فى الأحوال كلها "[١٨٠] .

(١٨٠) صفات الله عز وجل الواردة فى الكتـاب والسـنة، تـأليف: علـوي بـن عبـد القـادر السـقاف، (دار الهجـرة للنشـر والتوزيـع - السـعودية)، (الطبعـة الأولـى ١٤١٤هـــ - ١٩٩٤م)، ص١٨٢ .)

الخاتمـــــــــــــــــة:

وتشمل أهم النتائج والتوصيات

قال تعالى: {وتمت كلمة ربـــك صـــدقاً وعـــدلاً لا مبـــدل لكلماتـــه وهـــو الســـميع العليم}

اللهم أتمم علينا نعمتك ولا تحرمنا هدايتك واسلكنا بـــالقرآن فـــى ســـلك المهتـــدين الهادين وارفعنا إلى أعلى عليين.

آمين ... آمين

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على أشرف الخلق ومبعوث الحق سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

النتــــــــــائج:

١- إثبات خمسة أسماء لله تعالى وكل اسم منها دل على صفة.

٢- إثبات انفراد الله تعالى بالألوهية فى قوله {لا إله إلا هو}.

٣- الرد على المشركين الذين أثبتوا مع الله إلهاً آخر بل آلهة.

٤- إثبات صفة الحياة لله – عز وجل – وأنها حياة كاملة لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال ولا توصف بنقص.

٥- إثبات القيومية لله – عز وجل – لقوله {القيوم}.

٦- كمال حياة الله وكمال قيوميته بحيث لا يعتريها أدنى نقص لقوله {لا تأخذه سنة ولا نوم}.

٧- إثبات الشفاعة بإذن الله تعالى لقوله {إلا بإذنه} وإلا لما صح الاستثناء فلولا أن الشفاعة ثابتة بإذن الله ما صح الاستثناء.

وأخيراً ... أوصى نفسى وطلاب العلم بالوقوف على كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام مراراً وتكراراً فإن فيهما ما تجف له الأقلام وتعجز عنه ألسنة المفكرين والعلماء قال تعالى: {قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى}.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

٢٧	الحجر	١٧	{وحفظناهما من كل شيطان رجيم ....}	٦٥
٢٨	النحل	٢	{ينزل الملائكة بالروح من أمره ....}	٢٦

م	السورة	الآية	مفتاح الآية	الصفحة
٢٩	النحل	٩٧	{من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ....}	٣٤
٣٠	الإسراء	١	{إنه هو السميع البصير}	٥٧
٣١	الإسراء	٨٥	{ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ....}	٥٦
٣٢	الإسراء	١١٠	{قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ....}	٢٨
٣٣	مريم	٦٤	{وما نتنزل إلا بأمر ربك ....}	١٧، ٥٤
٣٤	مريم	٦٥	{رب السماوات والأرض وما بينهما}	١٧
٣٥	مريم	٨٧	{لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا}	٥٠
٣٦	طه	٨	{الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى}	٢٨
٣٧	الأنبياء	٢٥	{وما أرسلنا من قبلك من رسول ....}	٢٦
٣٨	الأنبياء	٢٨	{يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ....}	٥٠
٣٩	الأنبياء	٣٠	{أولم يرى الذين كفروا ....}	٤٤

٤٠	العنكبوت	٦٤	{وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ....}	٣٣
٤١	الروم	٢٣	{ومن آياته منامكم بالليل والنهار ....}	٤٠
٤٢	السجدة	٢٢	{ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض ....}	٣٢

م	السورة	الآية	مفتاح الآية	الصفحة
٤٣	يس	١٢	{وكل شئ أحصيناه في إمام مبين}	٥٧
٤٤	الزمر	٤٢	{الله يتوفى الأنفس حين موتها ....}	٤٠
٤٥	الزمر	٤٤	{أم اتخذوا من دون الله شفعاء ....}	٥١
٤٦	الزمر	٦٥	{قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ....}	٢٨
٤٧	الشورى	٧	{فريق في الجنة وفريق في السعير}	٢٦
٤٨	الشورى	١١	{ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ....}	٢٩
٤٩	محمد	٩	{ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم}	٣١
٥٠	النجم	٢٦	{وكم من ملك في السماوات ....}	٥٠
٥١	الملك	١٣	{وأسروا قولكم أو اجهروا به ....}	٥٣
٥٢	الملك	١٤	{ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ....}	٥٧

فهرس الأحاديث النبوية

٢٣	«والذي نفسي بيده ...»	أحمد	٢٠
٢٤	«يا أبا المنذر أتدري أيّ آية من كتاب الله أعظم ...»	مسلم	٢٠

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

كتب التفسير

١- الأساس في التفسير، سعيد حوىّ، دار السلام للطباعة والنشر - القاهرة.

٢- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس.

٣- التفسير الكبير للإمام الرازي، الطبعة الثانية، الناشر: دار الكتب العلمية – طهران.

٤- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٥- النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود، دار الكتب العلمية ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولي ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبدالحق بن غالب، تحقيق: الرحالي الفاروق، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمدان آل ثاني – الدوحة، الطبعة الأولي ١٣٩٨هـ - ١٩٧٧م.

٧- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، أحمد

محمـــد حميـــدة، أحمـــد عبـــد الغنـــي الجمـــل، دار الكتـــب العلميـــة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٨- تفسير القرآن العظـيم، للحـافظ أبـي الفـداء اسـماعيل بـن عمـرو بـن كثيـر القرشـي الدمشـقي، الطبعـة الأولـى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، دار بن حزم، بيروت – لبنان.

٩- تيسير الكريم الرحمن فـي تفسـير كـلام المنـان، عبـد الـرحمن ناصـر السـعدي، تحقيـق: عبـد الـرحمن بـن معـلا اللـويحي، الناشـر: دار الرسالة.

١٠- تفسـير الشـعراوي، محمـد متـولي الشـعراوي، الناشـر: قطـاع الثقافـة – القاهرة.

١١- تفسـير القـرآن الحكـيم المشـتهر باسـم تفسـير المنـار، محمـد رشـيد رضا، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

١٢- تفسـير روح البيـان، للإمـام الشـيخ إسـماعيل حقـي البروسـوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٣- جـامع البيـان فـي تفسـير القـرآن، أبـي جعفـر محمـد بـن جريـر الطبري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.

١٤- جـواهر القـرآن، أبـو حامـد الغزالـي، تحقيـق: لجنـة إحيـاء التـراث العربي.

١٥- حاشـية العلامـة الصـاوي علـى تفسـير الجلالـين، وهـي حاشـية العلامة الشـيخ أحمـد الصـاوي المـالكي، دار إحيـاء التـراث العربـي، بيروت – لبنان.

١٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبى الفضل شهاب الدين السر محمد الآلوسي البغدادي، تحقيق: محمد شكر الالوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

١٧- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

١٨- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، تحقيق: إبراهيم عطوة، شركة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

١٩- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق – القاهرة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٠- فتح البيان في مقاصد القرأن، أبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم، إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٢١- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ١٩٩٣م - ١٤١٤هـ .

كتب الأحاديث

٢٢- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٢٣- المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٢٤- المسند للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

٢٥- سنن الدارمي، للإمام أبي محمد عبدج الله بن بهزامر الدارمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

٢٦- صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الرحيمية – الهند.

٢٧- صحيح مسلم للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج، القشيري النيسابوري، دار بن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

كتب العقيدة

٢٨- التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها، فتحي بن عبد الفضيل بن علي، من علماء الأزهر.

٢٩- تفسير أسماء الله الحسنى، أبي اسحق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٠- شُعب الإيمان للحافظ ابي بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٣١- صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣٢- عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، صالح بن إبراهيم البليهي، المطابع الأهلية للأوفسيت – الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ .

٣٣- فتح الرحيم الملك العلوم في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، دار بن الجوزي للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية، الطبعة ١٤٢١هـ .

مراجع أخرى

٣٤- الفريد في إعراب القرآن المجيد، حسين بن أبي العز الهمزاني، تحقيق: فهمي حسين النمر، فؤاد علي مخيمر، دار الثقافة – قطر، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٣٥- تأملات في آية الكرسي، إعداد الدكتور عبد الله بن علي بصفر، دار نور المكتبات – جدة، ١٤٢٧هـ .

٣٦- مدارج السالكين بين منازل " إياك نعبد وإياك نستعين "، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي.

٣٧- في رحاب آية الكرسي (المقصد السني في تفسير آية الكرسي)، تأليف: أحمد بن محمد الشرقاوي.

فهرس الموضوعات